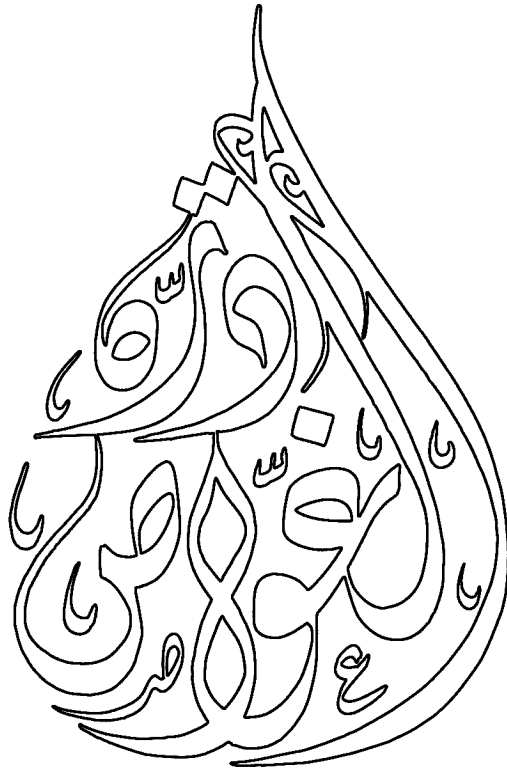


فتوح الغيب

للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني
(٤٧٠ - ٥٦١ هـ)

دار الحديث

حقوق الطبع والتصوير
والاقتباس محفوظة



فتوح الغيب

تأليف :

الشيخ عبد القادر الجبلي

(٤٧٠ - ٥٦١ هـ)

ضبطه ووثقه :

محمد سالم بواب

دار الألباب

إستفتاح

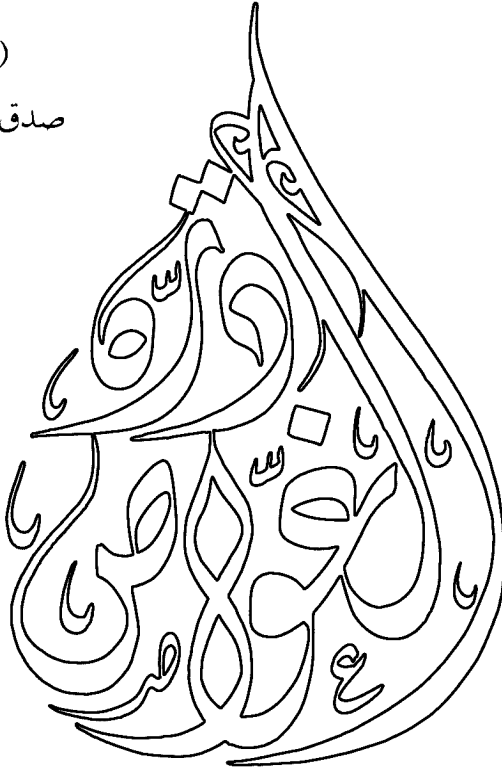
قال الله تعالى :
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾

(الفتح - ١ -)

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ
لَهَا ﴾

(فاطر - ٢ -)

صدق الله العظيم



استهلاك

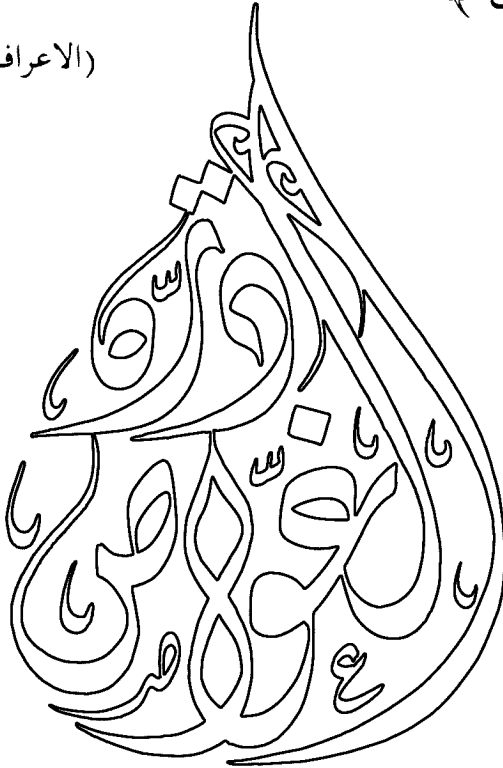
قال الله تعالى :

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾

(الانعام - ٥٩ -)

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ
الْفَاتِحِينَ﴾

(الاعراف - ٨٩ -)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الحامدين والفتاح لأهل الدين والمطلع على أسرار العالمين والمنتزه عن كل نقصٍ أو شين الباسط والرازق للمؤمنين والكافرين، الخافض الرافع القوي المتين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين الراقي، إلى رب العالمين، صاحب الذكر الطيب في كل وقت وحين، وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد:

ان مما دفعني لاخراج هذا الكتاب خاصةً وكتب المؤلف رحمه الله عامةً، هو حاجة العالم المسلم لهذه الكلمات النيرة التي تضيء لكل حائر، وتوقظ كل غافل فتهديه إلى بر الأمان والسلامة.

والكتاب الذي بين أيدينا نداء صادق لكل مسلم يقول لا إله إلا الله تعثرت خطاه في منحرجات الحياة فأصبح فريسةً لكل شهوة مفترسة، وكأن العالم المسلم في هذه الأيام أخذته الدهشة في عالم المادة فاصطدم بزخارفها الفارغة مما أدى إلى جحوده بالنعم فترى الانسان المسلم غارق في الدنيا إلى أخمص قدميه وهو يُشهد الله أنه لايعرف الدنيا وأفانيتها إلا حديثاً، وقد مضت عليه سنيناً عتيقة وهو مكبوب في أحشائها، ولعمري إن مثل هذا هو كثير في عالمنا الاسلامي وعلى أعلى المستويات من الذين يدعون الاستقامة والالتزام.

فلذا يأتي هذا الكتاب صيحةً صارخة للهبوب من هذا الكابوس المظلم، وناراً موقدة للقلوب القاسية حتى تتحسس من وعيد لظى جهنم. فتوح الغيب هذا عنوان كتابنا وما انطلق هذا العنوان السامي إلا من سمو قلب مؤلفنا ورؤيته للملكوت العلوي عن بصيرة وضاءة ومعرفته للحقيقة الصادقة في مهام العالم المسلم.

ولذا أتقدم للقارئ الكريم بهذا الكتاب النافع راجياً من المولى الكريم أن ينفع به المسلمين وأن ينفعنا معهم وأن يفتح علينا فتوح العارفين والعاشقين والمحبيين والمحبوبين وأن يجعلنا من عباده الصالحين.
المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف نسبه

قال الشيخ عبد الرزاق نجل المؤلف: قال والدي رضي الله تعالى عنه مؤيد الأئمة سيد الطوائف أبو محمد محيي الدين عبد القادر الجيلاني الحسيني الحسيني الصديقي ، ابن أبي صالح موسى جنكي دوست ابن الإمام عبد الله ابن الإمام محيي الزاهد ابن الإمام محمد ابن الإمام داود ابن الإمام موسى ابن الإمام عبد الله ابن الإمام موسى الجون ابن الإمام عبد الله المحض ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام أمير المؤمنين سيدنا الحسن السبط ابن الإمام الهمام أسد الله الغالب ، فخر بن غالب ، أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، ورضي عنه وعنهم أجمعين آمين .

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً عدد خلقه ومداد كلماته وزنة عرشه، ورضاء نفسه، وعدد كل شفع ووتر، ورطب ويابس في كتاب مبين، وجميع ما خلق ربنا وذراً وبراً، خالق بلا مثال أبداً سرمداً طيباً مباركاً، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى. وأمات وأحيا، وأضحك وأبكى، وقرب وأدنى، وأرحم وأخزى، وأطعم وأسقى، وأسعد وأشقى، ومنع وأعطى، الذي بكلمته قامت السبع الشداد، وبها رست الرواسي والأوتاد واستقرت الأرض المهاد، فلا مقنوطاً من رحمته، ولا مأموناً من مكره وغيرته وإنقاذ أفضيته وفعله وأمره، ولا مستنكفاً عن عبادته، ولا مخلواً من نعمته، فهو المحمود بما أعطى، والمشكور بما زوى، ثم الصلاة على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي من اتبع ماجاء به اهتدى ومن صدف عنه ضل وارتدى، النبي الصادق المصدوق، الزاهد في الدنيا، الطالب الراغب في الرفيق الأعلى، المجتبي من خلقه، المنتخب من بريته، الذي جاء الحق بمحبته، زهق الباطل بظهوره، وأشرقت الأرض بنوره.

ثم الصلوات الوافيات، والبركات الطيبات، الزاكيات المباركات عليه ثانياً وعلى آله الطيبين، وأصحابه والتابعين، لهم بإحسان، الأحسنين لربهم فعلاً، الأقومين له قِيلاً، والأصوبين إليه طريقاً وسبيلاً، ثم تضرعنا ودعأؤنا ورجوعنا إلى ربنا، ومنشئنا وخالقنا ورزاقنا، ومطعمنا ومسقيننا، ونافعنا وحافظنا، وكالثنا ومحيينا. والذائب والدافع عنا جميع مايؤذينا ويسوءنا، كل ذلك برحمته وتحننه وفضله ومتمنه. بالحفظ الدائم في الأقوال والأفعال في السر والإعلان، والإظهار والكتمان والشدة والرخاء والنعمة والبأساء والضراء، إنه فعال لما يريد،

والحاكم بما يشاء، العالم بما يخفي، المطلع على الشؤون والأحوال، من الزلات والطاعات والقربات، السامع للأصوات، المجيب للدعوات، لمن يشاء من غير تنازع وتردد .

أما بعد - فإن نعم الله علي كثيرة متوافرة، في آناء الليل وأطراف النهار والساعات، واللحظات والخطرات وجميع الحالات، كما قال عز وجل « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »^(١) وقوله تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله »^(٢) فلا يدان لي ولا جنان ولا لسان في إحصائها وأعدادها؛ فلا يدركها التعداد ولا تضبطها العقول والأذهان، ولا يحصيها الجنان ولا يعبرها اللسان. فمن جملة ما يمكن عن تعبيرها اللسان، وإظهارها^(٣) الكلام وكتبها البنان، ويفسره^(٤) البيان، كلمات برزت وظهرت لي من (فتوح الغيب) فحلت في الجنان، فأشغلت المكان فأنتجها وأبرزها صدق الحال، فتولى إبرازها لطف المنان، ورحمة رب الأنام في قالب صواب المقال، لمريدي الحق والطلاب .

المقالة الأولى فيما لا بد لكل مؤمن

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء: أمر يمثله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به؛ فأقل حالة المؤمنين لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي له أن يلزم همها قلبه، وليحدث بها نفسه، ويؤاخذ^(٥) الجوارح بها في سائر أحواله .

(١) سورة النحل آية (١٨) .

(٢) سورة النحل آية (٥٣) .

(٣) كذا في الطبعة الميمنية بدلاً من (إظهارها) أظهرها .

(٤) كذا ويفسره .

(٥) كذا ويأخذ .

المقالة الثانية في التواصي بالخير

قال رضي الله عنه وأرضاه : اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تمرقوا ، ووحّدوا ولا تشركوا ، ونزهوا الحق ولا تتهموا ، وصدقوا ولا تشكوا ، واصبروا ولا تجزعوا واثبتوا ولا تنفروا ، واسألوا ولا تسأموا ، وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا ، وتواخوا ولا تعادوا ، واجتمعوا على الطاعة ولا تتفرقوا ، وتحابوا ولا تباغضوا ، وتطهروا عن الذنوب وبها لا تتدنسوا ولا تتلطحوا وبطاعة ربكم فترينوا ، وعن باب مولاكم فلا تبرحوا ، وعن الإقبال عليه فلا تتولوا ، وبالتوبة فلا تسوفوا ، وعن الاعتذار إلى خالقكم في آناء الليل وأطراف النهار فلا تملوا ، فلعلكم ترحمون وتسعدون ، وعن النار تبعدون ، وفي الجنة تحبسون ، وإلى الله توصلون ، وبالنعيم وافترضوا الأبيكار في دار السلام تشتغلون وعلى ذلك أبداً تخلدون وعلى النجائب تركبون ، وبحور العين وأنواع الطيب وصوت القيّان مع ذلك النعيم تحبسون ، ومع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ترفعون .

المقالة الثالثة في الابتلاء

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : إذا ابتلى العبد ببليّة تحرك أولاً في نفسه بنفسه ، فإن لم يتخلص منها استعان من الخلق كالسلاطين وأرباب المناصب وأرباب الدنيا وأصحاب الأحوال وأهل الطب في الأمراض والأوجاع ، فإن لم يجد في ذلك خلاصاً رجع إلى ربه بالدعاء والتضرع والثناء . مادام يجد بنفسه نصرة لم يرجع إلى الخلق ، ومادام يجد به عند الخلق^(٦) نصرة لم يرجع إلى الخالق ، ثم إذا لم يجد عند الخالق نصرة

(٦) في النسخة الثانية الحق .

استطرح بين يديه مديماً للسؤال والدعاء والتضرع والثناء والافتقار مع الخوف والرجاء، ثم يعجزه الخالق عز وجل عن الدعاء، ولم يحبه حتى ينقطع عن جميع الأسباب، فحينئذ ينفذ فيه القدر ويفعل فيه الفعل، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات، فيبقى روحاً فقط، فلا يرى إلا فعل الحق فيصير موقناً موحداً ضرورة يقطع أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله لا محرك ولا مسكن إلا الله ولا خير ولا شر ولا ضر ولا نفع ولا عطاء ولا منع، ولا فتح ولا غلق، ولا موت ولا حياة، ولا عز ولا ذل إلا بيد الله فيصير في القدر كالطفل الرضيع في يد الطئر والميت الغسيل في يد الغاسل والكرة في صولجان الفارس، يقلب ويغير ويبدل، ويكون ولا حراك به في نفسه ولا في غيره فهو غائب عن نفسه في فعل مولاه، فلا يرى غير مولاه وفعله، ولا يسمع ولا يعقل من غيره إن بصر وإن سمع، وعلم، فلكلامه سمع، ولعلمه علم، وبنعمته تنعم، وبقربه تسعد، وبتقريبه تزين وتشرف، وبوعده طاب وسكن، به اطمأن، وبحديثه أنس، وعن غيره استوحش ونفر، وإلى ذكره التجأ وركن، وبه عز وجل وثق وعليه توكل، وبنور معرفته اهتدى وتقمص وتسربل، وعلى غرائب علومه اطلع، وعلى أسرار قدرته أشرف، ومنه سمع ووعى، ثم على ذلك حمد وأثنى وشكر ودعا .

المقالة الرابعة في الموت المعنوي

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: إذا مت عن الخلق قيل لك رحمك الله وأماتك عن الهوى، وإذا مت عن هواك قيل لك رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومناك؛ وإذا مت عن الإرادة قيل لك رحمك الله وأحيأك حياة لاموت بعدها، وتغنى غنى لا فقر بعده، وتعطي عطاء لا منع بعده، وتراح براحة لا شقاء بعدها، وتنعم بنعمة لا بؤس بعدها، وتعلم علماً لا جهل بعده، وتؤمن أماً لا خوف بعده، وتسعد فلا تشقى، وتعز فلا تذلل، وتقر فلا تبعد، وترفع فلا توضع، وتعظم فلا تحقر، وتظهر فلا تدنس، لتحقق فيك الأماني، وتصديق فيك الأقاويل، فتكون كبريتاً أحمر فلا تكاد ترى، وعزيزاً فلا تماثل، وفريداً فلا تشارك، وحيداً فلا تجانس، فراد بفرد ووتراً بوتر؛ وغيب الغيب، وسر السر، فحينئذ تكون وارث كل نبي وصديق ورسول، بك تختتم الولاية، وإليك تصور الأبدال وبك تنكشف الكروب، وبك تسقى الغيوث، بك تنبت الزروع، وبك يدفع البلاء والمحن عن الخاص والعام وأهل الثغور والراعي والرعايا، والأئمة والأمة وسائر البلايا، فتكون شحنة البلاد والعباد، فتنتقل إليك الرجل بالسعي، والرجل والأيدي بالذل، والعطاء والخدمة بإذن خالق الأشياء في سائر الأحوال، والألسن بالذكر الطيب والحمد والثناء وجمع المجال، ولا يختلف فيك اثنان من أهل الإيمان، ياخير من سكن البراري وجال بها (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)^(٧).

المقالة الخامسة في بيان الدنيا والحث على عدم الالتفات إليها

قال رضي الله عنه وأرضاه: إذا رأيت الدنيا في يدي أربابها بزینتها وأباطيلها وخداعها ومصائدها وسمومها القتالة، مع لين مس ظاهرها، وضراوة باطنها وسرعة إهلاكها، وقتلها لمن مسها واغتر بها وغفل عن وليها وغيرها بأهلها ونقض عهدها؛ فكن كمن رأى انساناً على الغائط بالبراز بادية سوائه وفائحة رائحته؛ فإنك تغض بصرك عن سوائه، وتسد أنفك من رائحته ونتنه، فهكذا كن في الدنيا، إذا رأيتها غض بصرك عن زينتها، وسد أنفك عما يفوح من روائح شهواتها ولذاتها، فتنجو منها ومن آفاتهما، ويصل إليك قسمك منها وأنت مهناً؛ قال الله تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)^(٨).

المقالة السادسة في الفناء عن الخلق

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: افن عن الخلق بإذن الله تعالى، وعن هواك بأمر الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)^(٩) وعن

(٧) سورة الجمعة آية (٤).

(٨) سورة طه آية (١٣١).

(٩) سورة المائدة آية (٢٣).

إرادتك بفعل الله تعالى ، وحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى ،
 علامة فنائك عن خلق الله تعالى انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم
 واليأس مما في أيديهم ، وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلق
 بالسبب في جلب النفع والضرر، فلا تتحرك فيك ولا تعتمد عليك^(١٠)
 ولا لك ولا تذب عنك ولا تنفر نفسك ، تكل ذلك كله إلى الله تعالى لأنه
 تولاه أولاً فيتولاه آخرًا ، كما كان ذلك موكولاً إليه في حال كونك مغيباً
 في الرحم ؛ وكونك رضيعاً طفلاً في مهدك ، وعلامة فنائك عن إرادتك
 بفعل الله أنك لا تريد مراداً قط ، ولا يكون لك غرض ، ولا يبقى لك حاجة
 ولا مرام ، لأنك^(١١) لا تريد مع إرادة الله سواها ، بل يجري فعل الله
 فيك ، فتكون أنت عند إرادة الله وفعله ساكن الجوارح مطمئن الجنان
 منشرح الصدر منور الوجه عامر البطن غنياً عن الأشياء بخالقها ،
 تقلبك يد القدرة ، ويدعوك لسان الأزل ، ويعلمك رب الملل ،
 ويكسوك أنواراً منه والحلل ، وينزلك من أولى العلم الأول ، فتكون
 منكسراً أبداً ، فلا يثبت فيك شهوة وإرادة كالإناء المنثلم الذي لا يثبت
 فيه مائع وكدر ، فتنفى عن أخلاق البشرية ، فلن يقبل باطنك شيئاً غير
 إرادة الله عز وجل ، فحينئذ يضاف إليك التكوين وخرق العادات ،
 فيرى ذلك منك في ظاهر الفعل والحكم ، وهو فعل الله وإرادته حقاً في
 العالم ، فتدخل حينئذ في زمرة المنكسرة قلوبهم الذين كسرت إرادتهم
 البشرية وأزيلت شهواتهم الطبيعية فاستؤنفت لهم إرادة ربانية كما قال
 النبي صلى الله عليه وسلم «حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب ،
 والنساء ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة»^(١٢) فأضيف ذلك بعد أن خرج
 منه وزال عنه تحقيقاً بما أشرنا ، وتقدم .

(١٠) كذا في النسخة الثانية .

(١١) في النسخة الثانية فإنك .

(١٢) أخرجه أحمد بن حنبل والنسائي والحاكم والبيهقي عن انس ابن مالك وقال الحاكم

صحيحة شرط على مسلم .

في الحديث القدسي : «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» (١٣)
فإن الله تعالى لا يكون عندك حتى تنكر جملة هواك
وإرادتك، فإذا انكسرت ولم يثبت فيك شيء ولم يصلح فيك شيء،
أنشأك الله فجعل فيك إرادة، فتريد بتلك الإرادة، فإذا صرت في تلك
الإرادة المنشأة فيك كسرهما الرب تعالى بوجودك فيها، فتكون منكسر
القلب أبداً، فهو لا يزال يجدد فيك إرادة ثم يزيلها عند وجودك فيها
هكذا إلى أن يبلغ الكتاب أجله، فيحصل اللقاء، فهذا هو معنى «عند
المنكسرة قلوبهم من أجلي» ومعنى قولنا عند وجودك فيها هو ركونك
وطمأنينتك إليها. قال الله تعالى في حديثه القدسي، الذي يرويه صلى
الله عليه وسلم: «لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا
أحبهته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي
يبتطش بها، ورجله التي يمشي بها» وفي لفظ آخر «فبي يسمع، وبي
يبتطش، وبي يعقل» (١٤) وهذا إنما يكون في حالة الفناء لا غير، فإذا فنيت
عنك وعن الخلق؛ والخلق إنما هو خير وشر، وكذلك أنت خير وشر،
فلم ترج خيرهم ولا تخاف شرهم بقي الله وحده كما كان، ففي قدر الله
خير وشر، فيؤمنك من شره ويغرقك في بحار خيره، فتكون وعاء كل
خير، ومنيعاً لكل نعمة وسرور وحبور وضياء آمن وسكون فالفناء والمنى

(١٣) قال في المقاصد ذكره في البداية للغزالي وقال القاري عقبه ولا يخفى أن الكلام في هذا
المقام لم يبلغ الغاية وقامه وأنا عند المدرسة قلوبهم لأجلي .
(١٤) للحديث تنمة (ولئن سألتني لأعطيته. ولئن استعاذني لأعيذته) رواه البخاري عن أبي
هريرة .

والمبتغى والمنتهى حد ومرد ينتهي إليه مسير الأولياء، وهو الاستقامة التي طلبها من تقدم من الأولياء والأبدال أن يفنوا عن إرادتهم وتبدل بإرادة الحق عز وجل، فيريدون بإرادة الحق أبدأ إلى الوفاة، فلهذا سموا أبدأ لارضى الله عنهم، فذنوب هؤلاء السادة أن يشركوا إرادة الحق بإرادتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة، فيدركهم الله تعالى برحمته بالتذكرة واليقظة، فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربهم، إذا لامعصوم عن الإرادة إلا الملائكة، عصموا عن الإرادة، والأنبياء عصموا عن الهوى، وبقية الخلق من الإنس والجن المكلفين لم يعصموا منها غير أن الأولياء بعضهم يحفظون عن الهوى، والأبدال عن الإرادة، ولا يعصمون منها على معنى يجوز في حقهم الميل إليهما في الأحيان، ثم يتداركهم الله عز وجل باليقظة برحمته.

المقالة السابعة في إذهاب غم القلب

قال رضي الله عنه وأرضاه: أخرج من نفسك وتنح عنها، والعزل عن ملكك وسلم الكل إلى الله، فكن بوابه على باب قلبك، وامثل أمره في إدخال من يأمرك بإدخاله، وانه بنهيه في صدر من يأمرك بصدده، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن أخرج منه، فأخرج الهوى من القلب بمخالفته، وترك متابعته في الأحوال كلها، وإدخاله في القلب بمتابعته وموافاته^(١٥)، فلا ترد إرادة غير إرادته وغير ذلك منك تمن وهو وادي الحمقاء، وفيه حتفك وهلاكك وسقوطك من عينه وحجابك عنه، احفظ أبدأ أمره، وانه أبدأ نهييه وسلم أبدأ لمقدوره، ولا تشركه بشيء من خلقه، فإرادتك وهواك وشهواتك كلها خلقه، فلا ترد ولا ترد ولا تهو

(١٥) في الطبعة الميمية موافقته وليست موافاته.

ولاتشته كيلا تكون مشركاً: قال الله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)^(١٦).

ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب، بل هو متابعتك هواك، وأن تختار مع ربك شيئاً سواه من الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها، فما سواه عز وجل غيره، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به عز وجل غيره، فاحذر ولا تركز، وخف ولا تأمن وفتش، فلا تغفل فتطمئن، ولا تضيف إلى نفسك حالاً ولا مقاماً، ولا تدع شيئاً من ذلك، فإن أعطيت حالاً أو أقمتم في مقام فلا تختز شيئاً واحداً من ذلك، فإن الله كل يوم هو في شأن، في تغيير وتبديل، وانه يحول بين المرء وقلبه، فيزيلك عما أخبرت به، ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقائه، فتخجل عند من أخبرته بذلك بل احفظ ذلك فيك ولا تعده إلى غيرك فإنه كلي الثبات والبقاء، فتعلم أنه موهبة وتسال التوفيق للشكر واستر رؤيته وان كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب. قال الله عز وجل : (مانسح من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)^(١٧) فلا تعجز الله في قدرته، ولا تتهمه في تقديره ولا تدبره، ولا تشك في وعده؛ فليكن لك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، نسخت الآيات والصور النازلة عليه المعمولة بها المقروءة في المحاريب المكتوبة في المصاحف، ورفعت وبدلت وأثبت غيرها مكانها، ونقل ﷺ إلى غيرها، هذا في ظاهر الشرع، وأما في الباطن والعلم والحال فيما بينه وبين الله عز وجل فكان يقول : «إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة» ويروى «مائة مرة»^(١٨) وكان صلى الله وسلم ينقل من حالة إلى أخرى ويسير به في منازل القرب وميادين الغيب، ويغير عليه خلع

(١٦) الآية (١١٠) من سورة الكهف.

(١٧) الآية (١٠٦) من سورة البقرة.

(١٨) رواه أحمد بن حنبل والامام مسلم في «الدعوات» وأبو داود وابن ماجه في «الصلاة» والنسائي في «يوم وليلة» «عن الأغر المزني» بضم الميم وفتح الزاي.

الأنوار، فتبين الحالة الأولى عند ثانيها ظلمة ونقصاناً وتقصيراً في حفظ الحدود، فيلقن الاستغفار لأنه أحسن حال العبد، والتوبة في سائر الأحوال لأن فيها اعترافه بذنبه وقصوره، وهما صفتا العبد في سائر الأحوال؛ فهما وراثتة من أبي البشر آدم عليه السلام إلى المصطفى ﷺ حين اعتورت صفاء حاله ظلمة النسيان للعهد والميثاق، وإرادة الخلود في دار السلام، ومجاورة الحبيب الرحمن المنان، ودخول الملائكة الكرام عليه بالتحية والسلام، فوجدت هناك نفسه مشاركة لإرادته لإرادة الحق، فانكسرت لذلك تلك الإرادة، وزالت تلك الحالة، وانعزلت تلك الولاية، فانهبطت تلك المنزلة وأظلمت تلك الأنوار وتكدر ذلك الصفاء، ثم تنبه وذكر صفى الرحمن، فعرف الاعتراف بالذنب والنسيان، و لقن الإقرار فقال : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)^(١٩) فجاءت أنوار الهداية وعلوم التوبة ومعارفها، والمصالح المدفونة فيها ما كان غائباً من قبل، فلم تظهر إلا بها، فبدلت تلك الإرادة بغيرها والحالة الأولى بأخرى، وجاءته الولاية الكبرى والسكون في الدنيا ثم في العقبى، فصارت الدنيا له ولذريته منزلاً، والعقبى لهم موئلاً ومرجعاً وخلداً، فلك برسول الله وحببيه المصطفى وأبيه آدم صفى الله عنصر الأحاب والأخلاء أسوة في الاعتراف بالقصور والاستغفار في الأحوال كلها .

المقالة الثامنة في التقرب إلى الله

قال رضي الله عنه وأرضاه : إذا كنت في حالة لا تحتقر غيرها أعلى منها ولا أدنى، فإذا كنت على باب دار الملك لا تحتقر الدخول إلى الدار حتى تدخل إليها جبراً لا اختياراً، وأعني بالجبر أمراً عنيفاً متأكداً

(١٩) الآية (٢٣) من سورة الأعراف .

متكرراً، ولا تكتف بمجرد إذن في الدخول، لجواز أن يكون ذلك منكراً وخديعة من الملك، لكن اصبر حتى تجبر على الدخول فتدخل الدار جبراً محضاً وفضلاً من الملك، فحينئذ لا يعاقبك الملك على فعله، إنما تتعرض العقوبة لك لشؤم تخيرك وشرهك، وقلة صبرك وسوء أدبك، وترك الرضى بحالتك التي أقمت فيها، فإذا حصلت فكن مطرقاً غاضباً لبصرك متأدباً، محافظاً لما تؤمر به من الشغل والخدمة فيها غير طالب للترقى إلى الذروة العليا. قال الله عز وجل: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)^(٢٠) فهذا تأديب منه عز وجل لنبيه المختار صلى الله عليه وسلم في حفظ الحال والرضا بالعطاء بقوله «ورزق ربك خير وأبقى» أي ما أعطيتك من الخير والنبوة والعلم والقناعة والصبر وولاية الدين، والعروة فيه أولى مما أعطيت غيرك وأخرى، فالخير كله في حفظ الحال والرض بها وترك الالتفات إلى ماسواها، لأنه لا يخلو إما أن يكون قسمك أو قسم غيرك، أو أنه لا قسم لأحد بل أوجده الله فتنة، فإن كان قسمك وصل إليك شئت أم أبيت فلا ينبغي أن يظهر منك سوء الأدب والشره في طلبه، فإن ذلك غير محمود في قضية العلم والعقل، وإن كان قسم غيرك فلا تتعب فيما لم تناوله ولا يصل إليك أبداً، وإن كان ليس بقسم لأحد بل هو فتنة فكيف يرضى العاقل ويستحسن أن يطلب لنفسه فتنة ويستجلبها لها، فقد ثبت أن الخير كله والسلامة في حفظ الحال؛ فإذا رقيت إلى الغرفة ثم إلى السطح فكن كما ذكرنا من الحفاظ والإطراق والأدب، بل يتضاعف ذلك منك، لأنك أقرب إلى الملك^(٢١) وأدنى بالخطر، فلا تتمن الانتقال منها إلى أعلى منها ولا إلى أدنى، ولا ثباتها وبقاءها، ولا تغير وصفها وأنت فيها، ولا يكون لك اختيار ألبتة، فإن

(٢٠) الآية (١٣١) من سورة طه.

(٢١) في النسخة الثانية ظلك.

ذلك كفر في نعمة الحال والكفر يحل بصاحبه الهوان في الدنيا والآخرة
فاعمل على ماذكرنا أبداً حتى ترقى إلى حالة تصير لك مقاماً تقام فيه
فلا تزال عنه، فتعلم حينئذ أنه موهبة ظهر بيانها ودليلها فتمسكه
ولا تزال، فالأحوال للأولياء والمقامات للأبدال، والله يتولى هداك .

المقالة التاسعة في الكشف والمشاهدة

قال رضي الله عنه وأرضاه : يكشف للأولياء والأبدال من أفعال
الله ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم فهي على قسمين جلال
وجمال؛ فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج، والغلبة
العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح، كما روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم «كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من
شدة الخوف»^(٢٢) لما يرى من جلال الله عز وجل وينكشف له من
عظمته، ونقل مثل ذلك عن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه
وعمر الفاروق رضي الله عنه .

أما مشاهدة الجمال : فهو تحلي القلوب بالأنوار والسرور
والألطاف، والكلام اللذيذ والحديث الأنيس، والبشارة بالمواهب
الجسام والمنازل العالية، والقرب منه عز وجل مما سيؤول أمرهم إلى الله .
وجف به القلم من أقسامهم في سابق الدهور فضلاً منه ورحمة، وإثباتاً
منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل وهو الوقت المقدور، لئلا تفرط بهم
المحبة من شدة الشوق إلى الله تعالى فتنفطر مرائرهم، فيهلكون
ويضعفون عن القيام بالعبودية إلى أن تأتيهم اليقين الذي هو الموت،
فيفعل ذلك بهم لطفاً منه ورحمة ومداواة، وتربية لقلوبهم ومداواة لها (إنه

(٢٢) وجدته بلفظ آخر عن عبد الله بن الشيخة رضي الله عنه : أتيت رسول الله ﷺ : وهو يصلي
ولجوفه أزيز كأزيز المرجل . رواه أبو داود والترمذي والنسائي .

حكيم عليم^(٢٣) لطيف بهم (رؤوف رحيم)^(٢٤) ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول لبلال المؤذن رضي الله عنه «أرحنا يا بلال بالإقامة، لندخل في الصلاة»^(٢٥) لمشاهدة مآذركنا من الحال، ولهذا قال «وجعلت قرة عيني في الصلاة»^(٢٦).

المقالة العاشرة في النفس وأحوالها

قال رضي الله عنه وأرضاه: إنما هو الله ونفسك وأنت المخاطب، والنفس ضد الله وعدوه، والأشياء كلها تابعة لله، والنفس له خلقاً وملكاً، وللنفس ادعاء وتمن وشهوة ولذة بملاستها، فإذا وافقت الحق عز وجل في مخالفة النفس وعدوانها فكنت لله خصماً على نفسك كما قال الله عز وجل لداود عليه السلام: (ياداد أنا يدك الآن فالزم يدك العبودية أن تكون خصماً على نفسك) فتحققت حينئذ موالاة الله وعبوديته لله عز وجل، وأنتك الأقسام هنيئاً مريئاً مطيئاً وأنت عزيز ومكرم، وخدمتك الأشياء وعظمتك وفخمتك، لأنها بأجمعها تابعة لربها موافقة له إذ هو خالقها ومنشئها، وهي مقرة له بالعبودية. قال الله تعالى: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)^(٢٧) - (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)^(٢٨) فالعبادة كل

(٢٣) الآية (٢٥) من سورة الحجر.

(٢٤) الآية (١١٧) من سورة التوبة.

(٢٥) وجدته بلفظ عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ: إذا قال بلال قد قامت الصلاة نهض فكبّر. رواه الطبراني في الكبير من طريق حجاج بن فروخ وهو ضعيف جداً.

(٢٦) رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن أنس رفعه ورواه النسائي عن أنس بلفظ الترجمة ورواه الحاكم بدون وجعلت، وقال صحيح على شرط مسلم.

(٢٧) الآية (٤٤) من سورة الاسراء.

(٢٨) الآية (٩١) من سورة فصلت.

العبادة في مخالفة نفسك . قال الله تعالى : (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)^(٢٩) وقال لداود عليه السلام : «أهجر هواك فإنه منازع» .

والحكاية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي^(٣٠) رحمه الله لما رأى رب العزة في المنام فقال له : كيف الطريق إليك ؟ قال اترك نفسك وتعال ، فقال : فانسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ، فإذا الخير كله في معاداتها في الجملة في الأحوال كلها ، فإن كنت في حال التقوى فخالف النفس ، بأن نخرج من حرام الخلق وشبههم وممتهم والاتكال عليهم والثقة بهم والخوف منهم ، والرجاء لهم والطمع فيما عندهم من أحكام الدنيا ، فلا ترج^(٣١) عطاياهم على طريق الهداية والزكاة والصدقة أو النذر ، فاقطع همك منهم من سائر الوجوه والأسباب حتى إن كان لك نسب ذو مال لا تتمن موته لترث ماله ، فاخرج من الخلق جداً واجعلهم كالباب يرد ويفتح ، وشجرة توجد فيها ثمرة تارة وتحتل أخرى وكل ذلك بفعل فاعل وتدبير مدبر وهو الله جل وعلا ، لتكون موحداً للرب ، ولا تنس مع ذلك كسبهم لتخلص من مذهب الجبرية^(٣٢) ، وأعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله لا تعبدتهم وتنسى الله . ولا تقل فعلهم دون

(٢٩) الآية (٢٦) من سورة ص .

(٣٠) انظر ترجمته في جامع كرامات الأولياء . وهو المعروف بسلطان الزاهدين .

(٣١) في النسخة الثانية فلا تبرح .

(٣٢) جاء في الحديث عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : صنفان من أمتي ليس هما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية . رواه الترمذي .

والمرجئة : من الأرجاء وهو التأخير لقولهم : إن الله أرجأ تعذيب العصاة وهؤلاء هم الجبرية الذين يقولون إنه لا يضر مع الإبان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ولا عقاب على المسلم في عصيانه لأنه مقهور والأدلة الدالة على عقابه مراد بها الزجر ، «ويلزمهم على هذا أن المسلم لا يثاب على الخير» مع أنهم يقولون بإثابته فهو ترجيح من غير مرجح ويقولون أيضاً أن نسبة الفعل إلى العبد كنسبته إلى الجهاد وخطوهم في هذا أظهر فإن الإنسان يمتاز على الجهاد بالحياة والإرادة والعقل ، فلهذا نسب الفعل إليه كسباً واختياراً .

الله فتكفر فتكون قدرياً^(٣٣)، لكن قل هي الله خلقاً وللعباد كسباً كما جاءت به الآثار، لبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب، وامثل أمر الله فيهم، وخلص قسمك منهم بأمره ولا تجاوزه فحكم الله قائم بحكمه عليك وعليهم، فلا تكن أنت الحاكم، وكونك معهم قدر والقدر ظلمة فادخل بالظلمة في المصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا تخرج عنها فإن خطر خاطر أو وجد إلهام فاعرضه على الكتاب والسنة، فإن وجدت فيها تحريم ذلك مثل أن تلهم بالزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلك من المعاصي، فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل به، واقطع بأنه من الشيطان اللعين وإن وجدت فيها إباحة كالشهوات المباحة من الأكل أو الشرب أو اللبس أو النكاح فاهجره أيضاً ولا تقبله، واعلم أنه من إلهام النفس وشهواتها وقد أمرت بمخالفتها وعداوتها وإن لم تجد في الكتاب والسنة تحريمه وإباحته، بل هو أمر لا تعلقه مثل السائق لك، انت موضع كذا وكذا، الق فلانا صالحاً، ولا حاجة لك هناك ولا في الصالح لاستغنائك عنه بما أولاك الله من نعمته من العلم والمعرفة، فتوقف في ذلك ولا تبادر إليه فتقول هذا إلهام من الحق جل وعلا فاعمل به بل انتظر الخير كله في ذلك وفعل الحق عز وجل بأن يتكرر ذلك الإلهام وتؤمر بالسعي، أو علامة تظهر لأهل العلم بالله عز وجل يعقلها العقلاء من الأولياء والمؤيدون من الأبدال، وإنما لم يتبادر إلى ذلك لأنك لا تعلم عاقبته وما يؤول الأمر إليه، وما كان فيه فتنة وهلاك ومكر من الله وامتحان فاصبر حتى يكون هو عز وجل الفاعل فيك، فإذا تجرد الفعل وحملت إلى هناك واستقبلتك فتنة كنت محمولاً محفوظاً فيها، لأن الله تعالى لا يعاقبك على فعله وإنما تتطرق العقوبة نحوك لكونك في الشيء، وإن كنت في حالة الحقيقة وهي حالة الولاية فخالف هواك واتبع الأمر في الجملة .

(٣٣) قدرياً: القدريّة طائفة من المسلمين يعتقدون أنه لا قدر وإن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه فخالق عندهم إثنان الله تعالى والعبد في أفعاله الاختيارية .

واتباع الأمر على قسمين : أحدهما أن تأخذ من الدنيا القوت الذي هو حق النفس وتترك الحظ ، وتؤدي الفرض وتشتغل بترك الذنوب ماظهر منها وماباطن .

والقسم الثاني ماكان بأمر باطن ، وهو أمر الحق عز وجل ، يأمر عبده وينهاه ، وإنما يتحقق بهذا الأمر في المباح الذي ليس له حكم في الشرع على معنى ليس من قبيل النهي ولا من قبيل الأمر الواجب ، بل هو مهمل ترك العبد يتصرف فيه باختياره فسمي مباحاً فلا يحدث للعبد فيه شيئاً من عنده بل ينتظر الأمر فيه ، فإذا أمر امتثل فتصير حركاته وسكناته بالله عز وجل ، ما في الشرع حكمه بالشرف وما ليس له حكم في الشرع فبالأمر الباطن فحينئذ يصير محقاً من أهل الحقيقة ، وما ليس فيه أمر باطن فهو مجرد الفعل حالة التسليم ، وإن كنت في حالة حق الحق وهي حالة المحو والفناء وهي حالة الأبدال المنكسرى القلوب لأجله الموحدين العارفين أرباب العلوم والعقل السادة الأمراء الشحن خفراء الخلق خلفاء الرحمن وأخلائه وأعيانه وأحبائه عليهم السلام ، فاتباع الأمر فيها بمخالفتك إياك بالتبري من الحول والقوة ، وأن لا يكون لك إرادة وهمة في شيء البتة دنيا وعقبى ، فتكون عبد الملك لا عبد الملك وعبد الأمر لا عبد الهوى كالطفل مع الظئر^(٣٤) ، والميت الغسيل مع الغاسل ، والمريض المقلوب على جنبه بين يدي الطبيب فيما سوى الأمر والنهي والله أعلم .

المقالة الحادية عشرة في الشهوة

قال رضي الله عنه وأرضاه : وإذا ألقى عليك شهوة النكاح في حالة الفقر وعجزت عن مؤنته فصبرت عنه منتظر الفرج من الباري عز

(٣٤) الظئر : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له في الناس وغيرهم .

وجل ، إما بزوالها وإقلاعها عنك بقدرته التي ألقاها عليك وأوجدها فيك فيعينك أو يصونك وحياتك عن حمل مؤنتها أيضاً أو بإيصالها إليك موهبة مهنتاً مكفياً من غير ثقل في الدنيا ولا تعب في العقبى ، وسماك الله عز وجل صابراً شاكراً لصبرك عنها راضياً بقسمته فزادك عصمة وقوة فإن كانت قسماً لك ساقها إليك مكفياً مهنتاً فينقلب الصبر شكراً ، وهو عز وجل وعد الشاكرين بالزيادة في العطاء قال عز وجل : (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) ^(٣٥) .

وإن لم تكن قسماً لك فالغنى عنها بقلعها من القلب إن شاءت النفس أو أبت ، فلازم الصبر وخالف الهوى وعانق الأمر وارض بالقضاء ، وارج بذلك الفضل والعطاء ، وقد قال الله تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) ^(٣٦) .

المقالة الثانية عشرة في النهي عن حب المال

قال رضي الله عنه وأرضاه : إذا أعطاك الله عز وجل مالاً فاشتغلت به عن طاعته حجبك به عنه دنيا وأخرى ، وربما سلبك إياه وغيرك وأفقرك لاشتغالك بالنعمة عن المنعم ، وإن اشتغلت بطاعته عن المال جعله لك موهبة ولم ينقص منه حبة واحدة وكان المال خادماً وأنت خادم المولى ، فتعيش في الدنيا مدلاً وفي العقبى مكرماً مطيباً في جنة المأوى مع الصديقين والشهداء الصالحين .

(٣٥) الآية (٧) من سورة إبراهيم .

(٣٦) الآية (١٠) من سورة الزمر .

المقالة الثالثة عشرة في التسليم لأمر الله

قال رضي الله عنه : لا تختار جلب النعماء ولا دفع البلوى فالنعماء واصله إليك^(*) إن كانت قسمك استجلبتها أو كرهتها، والبلوى حالة بك إن كانت قسمك مقضية عليك سواء كرهتها أو رفعتها بالدعاء أو صبرت أو تجلدت لرضى المولى، بل سلم في الكل، فيفعل الفعل فيك، فإن كانت النعماء فاشتغل بالشكر، وإن كانت البلوى فاشتغل بالتصبر والصبر، أو الموافقة والتنعم بها أو العدم أو الفناء فيها على قدر ماتعطي من الحالات وتنقل فيها، وماتسير في المنازل في طريق المولى الذي أمرت بطاعته والموالة، لتصل إلى الرفيق الأعلى، فتقام حينئذ مقام من تقدم ومضى من الصديقين والشهداء والصالحين، لتعاین من سبقك إلى الملك ومنه دنا، ووجد عنده كل طريفة وسروراً وأمناً، وكرامة ونعماً.

دع البلية تزورك، خل من سبيلها، ولا تقف ولا تجزع من مجيئها وقربها، فليس نارها أعظم من نار جهنم ولظى^(٣٧)، فقد ثبت في الخبر المروي عن خير البرية، وخير من حملته الأرض وأظلمت السماء محمد المصطفى ﷺ أنه قال : «إن نار جهنم تقول للمؤمن جزياً مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى»^(٣٨) فهل كان نور المؤمن الذي أطفأ لهب النار في لظى إلا الذي صحبه في الدنيا الذي لن يمر من أطاعها وعصى، فليطفئ هذا النور لهب البلوى، ولتجد برد صبرك وموافقتك للمولى وهيج ماحل بك من ذلك ومنك دنا، فالبلية لم تأتلك لتهلكك، لكنها تأتيك لتجربك

(*) في النسخة الثانية زيادة .

(٣٧) لظى : اللظى النار أو هبها ولظى : جهنم .

(٣٨) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وفي رواية الطبراني في الكبير عن يعلى بن منه رفعه وفي سنده منصور بن عمار الواعظ ليس بالقوى .

وتحقق صحة إيمانك وتوثيق عروة يقينك وببشرك باطنها من مولاك بمباهاته بك، قال الله تعالى : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)^(٣٩) فإذا ثبت مع الحق^(٤٠) إيمانك ووافقتة في فعله بيقينك كل ذلك بتوفيق منه ومنه، فكن حينئذ أبداً صابراً موافقاً مسلماً لاتحدث فيك ولا في غيرك حادثة ماخرج عن الأمر والنهي، فإذا كان أمره عز وجل فتسامع وتسارع وتحرك ولا تسكن ولا تسلم للقدر والفعل، بل ابذل طوقك ومجهودك لتؤدي الأمر، فإن عجزت فدونك الالتجاء إلى مولاك عز وجل، فالتجىء إليه وتضرع واعتذر، وفتش عن سبب عجزك عن أداء أمره وصدك عن التشوق لطاعته لعل ذلك لشؤم دعائك وسوء أدبك في طاعته، ورعونتك واتكالك على حولك وقوتك، وإعجابك بعلمك وشركك إياك بنفسك وخلقه، فصدك عن بابه، وعزلك عن طاعته وخدمته، وقطع عنك مدد توفيقه، وولى عنك وجهه الكريم، ومقتك وقلاك، وشغلك ببلائك دنياك وهواك وإرادتك ومناك .

أما تعلم أن كل ذلك مشغول عن ذلك، وقاطعك عن عين الذي خلقت ورباك، وخولك وأعطاك وحياك .

احذر لايلهيك عن مولاك غير مولاك، وكل من سوى مولاك غيره، فلا تؤثر عليه غيره فإنه خلقت له؛ فلا تظلم نفسك فتشغل بغيره عن أمره فيدخلك النار التي وقودها الناس والحجارة فتندم، فلا ينفعك الندم، وتعتذر فلا تعذر، وتستعجب فلا تعجب، وتسترجع إلى الدنيا لتستدرك وتصلح فلا ترجع .

ارحم نفسك وأشفق عليها، واستعمل الآلات والأدوات التي اعطيتها في طاعة مولاك من العقل^(٤١) والإيمان والمعرفة والعلم .

(٣٩) الآية (٣١) من سورة محمد .

(٤٠) في النسخة الثانية الخلق .

(٤١) في النسخة الثانية الفعل .

استضيء بنورها في ظلمات الأقدار، وتمسك بالأمر والنهي، وسيرهما في طريق مولاك وسلم ماسواهما إلى الذي خلقتك وأنشأك، فلا تكفر بالذي خلقتك من تراب ورباك، ثم من نطفة ثم رجلاً سواك؛ ولا ترد غير أمره، ولا تكره غير نهيه .

اقنع من الدنيا والأخرى بهذا المراد واكره فيهما هذا المكروه، فكل ما يراد تبع لهذا المراد، وكل مكروه تبع لهذا المكروه .

إذا كنت مع أمره كانت الأكوان في أمرك، وإذا كرهت نهيه فرت منك المكاره أين كنت وحللت .

قال الله عز وجل في بعض كتبه : «يا ابن آدم أنا الله لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون»^(٤٢) وقال عز وجل : «يادنيا من خدمني فأخدمه ومن خدمك فأتعبيه»^(٤٣) فإذا جاء نهيه عز وجل فكن كأنك مسترخي المفاصل، مسكن الحواس، مضيق الذرع، متماوت الجسد زائل الهوى . منطمس الوسوم^(٤٤)، منمحي الرسوم، منسي الأثر، مظلم القنا، متهدم البناء، خاوي البيت، ساقط العرش، لاحس ولا أثر، فليكن سمعك كأنه أصم وعلى ذلك مخلوق وبصر ككأنه معصب أو مرمود أو مطموس، وشفتاك كأن بهما قرحة وبثوراً، ولسانك كأنه به خرساً وكلولاً وأسنانك كأن بهما

(٤٢) يؤيده قوله عز وجل : بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .
«البقرة آية - ١١٧ .

(٤٣) وفي الحديث عن علي بن أبي طالب الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب .
أخرجه ابن أبي شيبة عنه مرفوعاً .

وقد نظم أمامنا الشافعي رضي الله عنه ذلك حيث قال وأجاد : ومن يأمن الدنيا فاني طعمتها وسبق
إلينا عذبتها وعذابها فما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهي اجتذابها فان تجتنبها كنت مسلماً
لأهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها .

(٤٤) الوسوم : من الوسم : وهو أثر الكي وجمعه وسوم، وتوسم الشيء : تخيله وتفرسه . والمراد
هنا عدمه .

ضرياناً وألماً ونشوراً، ويداك كأن بهما شللاً وعن البطش قصوراً،
ورجلاك كأن بهما رعدة وارتعاشاً وجروحاً، وفرجك كأن به عنة وبغير
ذلك الشأن مشغولاً، وبطنك كأن به امتلاء وارتواء وعن الطعام غنى،
وعقلك كأنك مجنون ومخبول، وجسدك كأنك ميت وإلى القبر محمول،
فالتسامع والتسارع في الأمر، والتقاعد والتجاعد والتقاصر في النهي،
والتماوت والتعدام والتفاني في القدر، فاشرب هذه الشربة، وتداو بهذا
الدواء، وتغذ بهذا الغذاء تنجح وتشفى، وتعافى من أمراض الذنوب
وعلل الأهواء، بإذن الله تعالى إن شاء الله .

المقالة الرابعة عشرة في اتباع أحوال القوم

قال رضي الله عنه وأرضاه : لاتدع حالة القوم ياصاحب الهوى
أنه تعبد الهوى وهم عبيد المولى، أنت رغبتك في الدنيا ورغبة القوم في
العقبى، أنت ترى الدنيا وهم يرون رب الأرض والسماء، وأنت أنسك
بالخلق وأنس القوم بالحق، أنت قلبك متعلق بمن في الأرض وقلوب
القوم برب العرش، أنت يصطادك من ترى وهم لا يرون من ترى، بل
يرون خالق الأشياء وما يرى، فاز القوم به وحصلت لهم النجاة، وبقيت
أنت مرتيناً بما تشتهي من الدنيا وتهوى، فنوا عن الخلق والهوى والإرادة
والمنى فوصلوا إلى الملك الأعلى، فأرفقهم على غاية مارام منهم من
الطاعة والحمد والثناء (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)^(٥٥) فلأزموا ذلك
وواظبوا بتوفيق منه وتيسير بلا عناء، فصارت الطاعة لهم روحاً وغذاء،
وصارت الدنيا إذ ذاك في حقهم نقمة وخزياً، فكأنها لهم جنة المأوى إذ
ما يرون شيئاً من الأشياء حتى يروا قبله فعل الذي خلق وأنشأ فيهم
ثبات الأرض والسماء، وقرار الموت والاحياء إذ جعلهم مليكهم أوتاداً

(٤٥) الآية (٥٤) من سورة المائدة .

للأرض التي دحى ، فكل كالجبل الذي رسا ، ففتح عن طريقهم ولا تراحم من لم يفده عن قصده الآباء والأبناء ، فهم خير من خلق ربي وبث في الأرض وذراً ، فعليهم سلام الله وتحياته مادامت الأرض والسماء .

المقالة الخامسة عشرة في الخوف والرجاء

قال قدس سره العزيز : رأيت في المنام كأني في موضع شبه مسجد وفيه قوم منقطعون ، فقلت : لو كان هؤلاء فلان يؤدبهم ويرشدهم ، فأشرت إلى رجل من الصالحين فاجتمع القوم حولي فقال واحد منهم : فأنت لأي شيء لا تتكلم ؟ فقلت : إن رضىتموني ذلك ، ثم قلت : إذا انقطعت من الخلق إلى الحق فلا تسألوا الناس شيئاً بألستكم ، فإذا تركتم ذلك فلا تسألوهم بقلوبكم ، فإن السؤال بالقلب كالسؤال باللسان .

ثم اعلّموا أن الله كل يوم هو في شأن ، في تغيير وتبديل ورفع وخفض ؛ فقوم يرفعهم إلى عليين ، وقوم يحطهم إلى أسفل سافلين ، فخوف الذين رفعهم إلى عليين أن يحطهم إلى أسفل سافلين ، ورجاؤهم أن يبقوهم ويحفظهم على ما هم عليه من الرفع ، وخوف الذين حطهم إلى أسفل سافلين ، أن يبقوهم ويخلدوهم على ما هم فيه من الحط ، ورجاؤهم أن يرفعهم إلى عليين ، ثم انتبهت .

المقالة السادسة عشرة في التوكل ومقاماته

قال رضي الله عنه : ما حجت عن فضل الله والبدء بنعمة إلا لا تكالك على الخلق والأسباب ، والصنائع والاكتساب . فالخلق

حجابك عن الأكل بالسنة وهو المكسب، فما دمت قائماً مع الخلق راجياً
لعطاياهم وفضلهم سائلاً لهم متردداً إلى أبوابهم فأنت مشرك بالله
خلقه، فيعاقبك بحرمان الأكل بالسنة الذي هو الكسب من حلال
الدنيا، ثم إذا تبت عن القيام مع الخلق وشركك بربك عز وجل إياهم
ورجعت إلى الكسب فتأكل بالكسب وتتوكل على الكسب وتطمئن إليه
وتنسى فضل الرب عز وجل، فأنت مشرك، أيضاً إلا أنه شرك خفي
أخفى من الأول، فيعاقبك الله عز وجل ويحجبك عن فضله والبداءة
به، فإذا تبت عن ذلك وأزلت الشرك عن الوسط، ورفعت اتكالك عن
الكسب والحول والقوة، ورأيت الله عز وجل هو الرزاق، وهو المسبب
والمسهل والمقوي على الكسب، والموفق لكل خير، والرزق بيده تارة
يواصلك به بطريق الخلق على وجه المسألة لهم في حالة الابتلاء أو
الرياضة أو عند سؤالك له عز وجل، وأخرى بطريق الكسب معاوضة
وأخرى من فضله مبادأة من غير أن ترى الوسطة والسبب، فرجعت
إليه واستطرحت بين يديه، ورفع الحجاب بينك وبين فضله، وبإدراك
وغذاك بفضله، عند كل حاجة على قدر ما يوافق حالك، كفعل الطبيب
الشفيق الرقيق الحبيب للمريض حماية منه عز وجل، وتنزيها لك عن
الميل إلى من سواه، يرضيك بفضله، فإذا ينقطع عن قلبك كل إرادة
وكل شهوة ولذة ومطلوب ومحبوب، فلا يبقى في قلبك سوى إرادته عز
وجل، فإذا أراد أن يسوق إليك قسمك الذي لا بد من تناوله وليس هو
رزقاً لأحد من خلقه سواك، أوجد عندك شهوة ذلك القسم وساقه
إليك؛ فيواصلك به عند الحاجة، ثم يوفقك ويعرفك أنه منه وهو سائقه
إليك ورازقه لك، فتشكره حينئذ وتعرف وتعلم، فيزيدك خروجاً من
الخلق وبعداً من الأنام وأخليت الباطن عما سواه عز وجل. ثم إذا قوي
علمك ويقينك، وشرح صدرك ونور قلبك، وزاد قربك من مولاك
ومكانتك لديه عنده، وأهليتك لحفظ الأسرار علمت متى يأتيك
قسمك كرامة لك وإجلالاً لحرمتك فضلاً منه ومنة وهداية.

قال الله عز وجل : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)^(٤٦) وقال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)^(٤٧) وقال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله)^(٤٨) ثم يرد عليك التكوين فتكون بالإذن الصريح الذي هو لا غبار عليه والدلالات اللائحة كالشمس المنيرة، وبكلامه اللذيذ الذي هو ألد من كل لذيد، وإلهام صدق من غير تلبس مصفى من هواجس النفس ووساوس الشيطان اللعين .

قال الله تعالى في بعض كتبه : (يا ابن آدم أنا الله الذي لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون)^(٤٩) وقد فعل ذلك بكثير من أنبيائه وأوليائه وخواصه من بني آدم .

المقالة السابعة عشرة في كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد

قال رضي الله تعالى عنه : إذا وصلت إلى الله وقربت بتقريبه وتوفيقه ومعنى الوصول إلى الله عز وجل خروجك عن الخلق والهوى والارادة والمنى ، والثبوت مع فعله ومن غير أن يكون منك حركة فيك ولا في خلقه بك ؛ بل بحكمه وأمره وفعله ، فهي حالة الفناء يعبر عنها بالوصول ؛ فالوصول إلى الله عز وجل ليس كالوصول إلى أحد من خلقه المعقول المعهود (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)^(٥٠) جل الخالق

(٤٦) الآية (٢٤) من سورة السجدة .

(٤٧) الآية (٦٩) من سورة العنكبوت .

(٤٨) الآية (٢٨٢) من سورة البقرة .

(٤٩) تقدم ذكره .

(٥٠) الآية (١١) من سورة الشورى .

أن يشبه بمخلوقاته أو يقاس على مصنوعاته، فالواصل إليه عز وجل معروف عند أهل الوصول بتعريفه عز وجل لهم كل واحد على حدة لا يشاركه فيه غيره، وله عز وجل مع كل واحد من رسله وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لا يطلع على ذلك أحد غيره، حتى أنه قد يكون للمريد سر لا يطلع عليه شيخه، وللشيخ سر لا يطلع عليه مريده الذي قد دنا سيره إلى عتبة باب حالة شيخه، فإذا بلغ المريد حالة شيخه أفرد عن الشيخ وقطع عنه، فيتولاه الحق عز وجل فيفطمه عن الخلق جملة، فيكون الشيخ كالظئر والداية، لارضاع بعد الحولين، ولاخلق بعد زوال الهوى والإرادة. الشيخ يحتاج إليه مادام ثم هوى وإرادة لكسرهما، وأما بعد زوالهما فلا، لأنه لاكدورة ولانقصان، فإذا وصلت إلى الحق عز وجل على ما بينا فكن آمناً أبداً من سواء عز وجل فلا ترى لغيره وجوداً البتة؛ لافي الضر ولافي النفع، ولافي العطاء ولافي المنع، ولافي الخوف ولافي الرجاء، هو عز وجل أهل التقوى وأهل المغفرة، فكن أبداً ناظراً إلى فعله مترقباً لأمره. مشتغلاً بطاعته، مباتناً عن جميع خلقه دنيا وأخرى.

لاتعلق قلبك بشيء منهم واجعل الخليقة أجمع كرجل كتفه سلطان عظيم ملكه شديد أمره، مهولة صولته وسطوته، ثم جعل الغل في رقبته مع رجله، ثم صلبه على شجرة الأذرة على شاطئ نهر عظيم موجه، فسيح عرضه، عميق غوره، شديد جريه، ثم جلس السلطان على كرسيه، عظيم قدره، عال سماؤه، بعيد مرامه ووصله، وترك إلى جنبه أحمالاً من السهام والرماح والنبل وأنواع السلاح والقسي ومما لا يبلغ قدرها غيره، فجعل يرمي إلى المصلوب بما شاء من ذلك السلاح، فهل يحسن لمن يرى ذلك أن يترك النظر إلى السلطان والخوف منه والرجاء له وينظر إلى المصلوب ويخاف منه ويرجوه، أليس من فعل ذلك يسمى في قضية العقل عديم العقل والحس مجنوناً. بهيمة غير إنسان؟ نعوذ بالله

من العمى بعد البصيرة، ومن القطيعة بعد الوصول، ومن الصدود بعد الدنو والقرب، ومن الضلالة بعد الهداية، ومن الكفر بعد الإيمان، فالدنيا كالنهر العظيم الجاري الذي ذكرناه كل يوم في زيادة ماء وهي شهوات بني آدم ولذاتهم فيها، والدواهي التي تصيبهم منها، وأما السهام وأنواع السلاح فالبلايا التي يجري بها القدر إليهم، فالغالب على بني آدم في الدنيا البلايا والنفع والآلام والمحن، وما يجدون من النعم واللذات فيها فمشوبة بالآفات إذا اعتبرها كل عاقل لاهية له ولا عيش ولا راحة إلا في الآخرة إن كان مؤمناً، لأن ذلك خصوصاً في حق المؤمن . قال النبي ﷺ «لا عيش إلا عيش الآخرة»^(٥١) وقال عليه الصلاة والسلام: «لراحة للمؤمن دون لقاء ربه»^(٥٢) ذلك في حق المؤمنين . وقال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(٥٣) وقال عليه الصلاة والسلام: «التقى ملجم»^(٥٤) فمع هذه الأخبار والعيان كيف يدعي طيب العيش في الدنيا. فالراحة كل الراحة في الانقطاع إلى الله عز وجل وموافقته، والاستطراح بين يديه، فيكون العبد بذلك خارجاً عن الدنيا، فحينئذ يكون الدلال رافة ورحمة ولطفاً وصدقة وفضلاً، والله علم .

المقالة الثامنة عشرة في النهي عن الشكوى

قال رضي الله عنه : الوصية لا تشكون إلى أحد ما نزل بك من خير كائناً من كان صديقاً أو عدواً ولا تتهمن الرب عز وجل فيما فعل فيك

(٥١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥٢) رواه وكيع في الزهد له عن ابن مسعود وفي رواية عن عائشة مرفوعاً بلفظ من أحب لقاء الله . أحب الله لقاءه .

(٥٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة .

(٥٤) أخرجه ابن أبي الدنيا، وفي رواية عن أنس «المؤمن ملجم» رواه الديلمي، ومعناه أن الايمان والخوف من الله يمنعه من شفاء غيظه ومالا يعنيه كما في الحديث الآخر المؤمن لا يشفي غيظه والصبر من شفاء . الغيظ كقتل في سبيل الله .

وأُنزل بك من البلاء، بل أظهر الخير والشكر، فكذبك باظهارك للشكر من غير نعمة عندك خير من صدقك في إخبارك جليلة الحال بالشكوى، من الذي خلا من نعمة الله عز وجل؟ قال الله تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)^(٥٥) فكم من نعمة عندك وأنت لاتعرفها؟ لاتسكن إلى أحد من الخلق، ولاتستأنس به، ولاتطلع أحداً على ما أنت فيه، بل يكون أنسك بالله عز وجل وسكونك إليه وشكواك منه وإليه لاترى ثانياً، فإنه ليس لأحد ضر ولا نفع، ولا جلب ولا دفع، ولا عز ولا ذل، ولا رفع ولا خفض، ولا فقر ولا غنى، ولا تحريك ولا تسكين، الأشياء كلها خلق الله عز وجل وبيد الله عز وجل، بأمره وإذنه جريانها، وكل يجري لأجل مسمى، وكل شيء عنده بمقدار، لا مقدم لما آخر، ولا مؤخر لما قدم، قال الله عز وجل (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)^(٥٦) فإن شكوت منه عز وجل وأنت معافى وعندك نعمة طالباً الزيادة وتعامياً عن ماله عندك من النعمة والعافية استهزاء بها، غضب عليك وأزالهما عنك، وحقق شكواك، وضاعف بلواك، وشدد عقوبتك ومقتك وقلالك، وأسقطك من عينه: احذر الشكوى جداً ولو قطعت وقرض لحمك بالمقاريض .

إياك إياك ثم إياك، الله الله ثم الله، النجاة النجاة، الحذر الحذر، فإن أكثر ما ينزل بابن آدم من أنواع البلاء بشكواه من ربه عز وجل . كيف يشتكي منه عز وجل وهو أرحم الراحمين، وخير الحاكمين - حكيم خبير، رؤوف رحيم، لطيف بعباده، وليس بظلام للعبيد، كطبيب حكيم حبيب شفيق لطيف قريب هل تتهم الوالدة الرحيمة،

(٥٥) سورة ابراهيم الآية (٣٤) .

(٥٦) سورة يونس الآية (١٠٧) .

قال النبي ﷺ : « الله أرحم بعبده من الوالدة بولدها »^(٥٧) أحسن الأدب يامسكين ، تصبر عند البلاء إن ضعفت عن الصبر ، ثم اصبر إن ضعفت عن الرضا والموافقة . ثم أرض ووافق إن وجدت ، ثم أفن إذا فقدت ، أيها الكبريت الأحمر أين أنت أين توجد وترى ؟ أما تسمع إلى قوله عز وجل : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)^(٥٨) طوى عنك علم حقيقة الأشياء وحجبك عنه ، فلا تسيء الأدب فتكره بك أو تحب بك ، بل اتبع الشرع في جميع ما ينزل بك إن كنت في حالة التقوى التي هي القدم الأولى ، واتبع الأمر في حالة الولاية وخمود وجود الهوى ولا تجاوزه وهي القدم الثانية ، وأرض بالفعل ووافق وافن في حالة البدلية والغوثية والقطبية والصديقية ، وهي المنتهى ، تنح عن طريق القدر ، خل عن سبيله ، رد نفسك وهواك ، كف لسانك عن الشكوى ، فإذا فعلت ذلك ، إن كان خيراً زادك المولى طيبة وسروراً ولذة ، وإن كان شراً حفظك في طاعته فيه ، وأزال عنك الملامة ، وأفقدك فيه حتى يتجاوز عنك ، ويرحل عند القضاء أجله ، كما ينقضى الليل فيسفر عن النهار ، والبرد في الشتاء فيسفر عن الصيف ، ذلك أنموذج عندك ، فاعتبر بهم ، ثم ذنوب وآثام وإجرام وتلويثات بأنواع المعاصي والخطيئات ولا يصلح لمجالسة الكريم إلا الطاهر عن أنجاس الذنوب والزلات ، ولا يقبل على سدته إلا طيباً من درن الدعاوى والوهوسات ، كما لا يصلح لمجالسة الملوك إلا الطاهر من الأنجاس وأنواع التن

(٥٧) عن عبد الله بن أبي أوفى قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فإذا هو بصبي يبكي فقال ياعمر ضم الصبي فإنه ضال فجاءت أمه فأخذت ابنها فجعلت تضمه إليها وترشفه وتبكي فقال النبي : أترون هذه رحيمة بولدها فقالوا نعم فقال : والله الله أرحم بالمسلمين من هذه بولدها - رواه الطبراني .

(٥٨) الآية (٢١٦) من سورة البقرة .

والأوساخ، فالبلايا مكفرات مطهرات قال النبي ﷺ: «حمى يوم كفارة سنة»^(٥٩) صدق ﷺ .

المقالة التاسعة عشرة في الأمر بوفاء الوعد والنهي عن خلفه

قال رضي الله عنه: إذا كنت ضعيف الإيثار واليقين ووعدت بوعد وفٍّ بوعدك، ولا تحلف كيلا يزول إيمانك ويذهب يقينك. وإذا قوى ذلك في قلبك وتمكنت خوطبت بقوله: (إنك اليوم لدينا مكين أمين)^(٦٠) وتكرر هذا الخطاب لك حالاً بعد حال فكنت من الخواص بل من خواص الخواص ولم يبق لك إرادة ولا مطلب، ولا عمل تعجب به ولا قربة تراها، ولا منزلة تلمحها، فتسمو همتك إليها، ففصرت كالإناء المشتم الذي لا يثبت فيه مائع، فلا يثبت فيك إرادة ولا خلق ولاهمة إلى شيء من الأشياء دنيا وأخرى، وطهرت مما سوى الله تعالى، وأعطيت رضاك عن الله عز وجل، ووعدت برضوانه عز وجل عنك، ولذذت ونعمت بأفعال الله عز وجل أجمع، فحينئذ تواعد بوعد، فإذا اطمأنت إليه ووجدت فيه أمانة إرادة مانقت عن ذلك الوعد إلى ما هو أعلى منه، وصرفت إلى أشرف منه، وعوضت عن الأول بالغنى عنه، وفتحت لك أبواب المعارف والعلوم وأطلعت على غوامض الأمور وحقائق الحكمة والمصالح المدفونة في الانتقال من الأول إلى ما يليه ويزاد حينئذ في مكانتك في حفظ الحال ثم المقال، وفي أمانتك في حفظ الأسرار وشرح الصدور وتنوير القلب وفصاحة اللسان والحكمة البالغة

(٥٩) وجدته هذا اللفظ «الحمى حظ كل مؤمن من النار، وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة» - أخرجه القضاعي في مسند الشهاب وكذا الديلمي .
مُجَرَّمَةٌ: بضم الميم وفتح الجيم وشد الراء يقال سنة مجرمة أي تامة كذا في مسند الفردوس وذلك لأنها تهد قوة سنة، فجعلت مثوبته على قدر زربته .
(٦٠) الآية (٥٤) من سورة يوسف .

في إلقاء المحبة عليك ، فجعلت محبوب الخليفة أجمع الثقلين وماسواهما دنيا وأخرى . إذا صرت محبوب الحق عز وجل ، والخلق تابع للحق جل وعلا ، ومحبتهم مندرجة في محبته ، كما أن بغضهم يندرج في بغضه عز وجل . فإذا بلغت هذا المقام الذي ليس لك فيه إرادة شيء البتة جعلت لك إرادة شيء من الأشياء ، فإذا تحققت إرادتك لذلك الشيء أزيل الشيء وأعدم ، وصرفت عنه فلم تعطه في الدنيا ، وعوضت عنه في الأخرى بما يزيدك قربة وزلفى إلى العلي الأعلى ، وماتقر به عينك في الفردوس الأعلى وجنة المأوى ، وإن كنت لم تطلب ذلك وتأمله وترجوه وأنت في دار الدنيا التي هي دار الفناء والتكاليف والعناء ، بل رجائك وأنت فيها وجه الذي خلق وبرأ ومنع وأعطى ، وبسط الأرض ورفع السماء إذ ذاك هو المراد والمطلوب والمنى ، وربما عوضت عن ذلك بما هو أدنى منه أو مثله في الدنيا بعد انكسار قلبك وبصرك ، حينئذ يصدق عن ذلك المطلوب والمراد ، وتحقيق العوض في الأخرى على ما ذكرنا وبيننا ، والله سبحانه أعلم .

المقالة العشرون

في قوله ﷺ : «دع مايريبك إلى ما لا يريبك»^(٦١) قال رضي الله عنه : «دع مايريبك إذا اجتمع مع ما لا يريبك ، فخذ بالعزيمة الذي لا يشوبها ريب ولا شك ، ودع مايريبك ، فأما إذا تجرد المريب المشوب الذي لم يصف عن حز القلب وحكمه»^(٦٢) فتوقف فيه وانظر الأمر فيه ، فإن أمرت بتناوله تناوله فدونك وإن أمرت بالكف عنه ومنعت فكف ، فليكن ذلك عندك كأنه لك يكن ولم يوجد . ارجع إلى الباب وابتغ عند ربك الرزق ، وإن ضعفت عن الصبر أو الموافقة أو الرضا أو الفنا فهو عز وجل لا يحتاج أن يذكر فليس بغافل عنك وعن غيرك ، وهو عز وجل

(٦١) حديث صحيح أخرجه أحمد بن حنبل عن أنس والنسائي عن الحسن بن علي وغيرهما .

(٦٢) في النسخة الثانية وحكمه .

يطعم الكفار والمنافقين والمديرين عنه فكيف ينساك؟ أيها المؤمن الموحد المقبل على طاعته والقائم بأمره في آناء الليل وأطراف النهار .
 (وجه آخر) دع ما في أيدي الخلق فلا تطلبه ولا تعلق قلبك به ،
 ولا ترجو الخلق ولا تخافهم ، وخذ من فضل الله عز وجل وهو ما لا يريبك ، وليكن لك مسؤول واحد ومعط واحد ومرجو واحد ومخوف واحد وموجود واحد وهمة واحدة وهو ربك عز وجل الذي نواصى الملوك بيده وقلوب الخلق بيده التي هي أمراء الأجساد ، وأموال الخلق له عز وجل ، وهم وكلاؤه وأمناءه ، وحركة أيديهم بالعطاء لك بإذنه عز وجل وأمره وتحريكه ، وكفها عن عطائك كذلك ، قال عز وجل من قائل :
 (واسألوا الله من فضله)^(٦٣) وقال تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون)^(٦٤) وقال سبحانه : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)^(٦٥) وقال تعالى : (ادعوني أستجب لكم)^(٦٦) وقال تعالى : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)^(٦٧) وقال تعالى : (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)^(٦٨) .

المقالة الحادية والعشرون في مكالمة إبليس عليه اللعنة

قال رضي الله عنه : رأيت إبليس اللعين في المنام وأنا في جمع كثير فهتممت بقتله ، فقال لي لعنه الله لم تقتلني وما ذنبي؟ إن جرى القدر بالشئ فلا أقدر أغيره إلى خير وأنقله إليه ، وإن جرى بالخير فلا أقدر

(٦٣) الآية (٣٢) من سورة النساء .

(٦٤) الآية (١٧) من سورة العنكبوت .

(٦٥) الآية (١٨٦) من سورة البقرة .

(٦٦) الآية (٦٠) من سورة غافر .

(٦٧) الآية (٥٨) من سورة الذاريات .

(٦٨) الآية (٣٧) من سورة آل عمران .

أغيره إلى شر وأنقله إليه ، فأني شيء بيدي ؟ وكانت صورته على صورة الخناثي لين الكلام مشوه الوجه طاقات شعر في ذقنه حقير الصورة دميم الخلقة ، ثم تبسم في وجهي تبسم خجل ووجل وذلك في ليلة الأحد ثاني عشر ذي الحجة من سنة ستة عشر وخمسمائة ، والله الهادي لكل خير .

المقالة الثانية والعشرون في ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه

قال رضي الله عنه وأرضاه : لا يزال الله يبتلي عبده المؤمن على قدر إيمانه ، فمن عظم إيمانه وكثر وتزايد عظم بلاؤه ، الرسول بلاؤه أعظم من بلاء النبي ، لأن إيمانه أعظم ، والنبي بلاؤه أعظم من بلاء البديل وبلاء البديل أعظم من بلاء الولي ، كل واحد على قدر إيمانه وبقينه ، وأصل ذلك قول النبي ﷺ «إنا معشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل»^(٦٩) فيديم الله تعالى البلاء لهؤلاء السادات الكرام حتى يكونوا أبداً في الحضرة ولا يغفلوا عن اليقظة ، لأنه يحبهم ، فهم أهل المحبة يحبون الحق ، والمحبة أبداً لا يختار بعد محبته ، فالبلاء خطاف لقلوبهم وقيد لنفوسهم ، يمنعهم عن الميل إلى غير مطلوبهم والسكون والركون إلى غير خالقهم ، فإذا دام ذلك في حقهم ذابت أهويتهم وانكسرت نفوسهم وتميز الحق من الباطل فتنزوي الشهوات والإرادات ، والميل إلى اللذات والراحات دنيا وأخرى بأجمعها إلى مايلي النفس ويصير السكون إلى وعد الحق عز وجل ، والرضا بقضائه ، والقناعة بعطائه . والصبر على بلائه ، والأمن من شر خلقه إلى مايلي القلب ، فتقوى شوكة القلب ، فتصير الولاية على الجوارح إليه ، لأن البلاء يقوي القلب واليقين . ويحقق الإيثار والصبر ، ويضعف النفس والهوى ، لأنه كلما وصل الأمل

(٦٩) رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه . وابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص قال قلت يارسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلي الرجل على حسب دينه فان كان صلباً اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه .

ووجد من المؤمن الصبر والرضا والتسليم لفعل الرب عز وجل ، رضي الرب تعالى عنه وشكره ، فجاءه المدد والزيادة والتوفيق . قال الله تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم)^(٧٠) وإذا تحركت النفس يطلب شهوة من شهواتها ولذة من لذاتها من القلب فأجابها القلب إلى مطلوبها ذلك من غير أمر من الله تعالى وإذن منه حصلت بذلك غفلة عن الحق تعالى وشرك ومعصية ، فعمهما الله تعالى بالخذلان والبلايا وتسليط الخلق ، والأوجاع والأمراض ، والأذى والتشويش ، فينال كل واحد من القلب والنفس حظ وإن لم يجب القلب والنفس إلى مطلوبها حتى يأتيه الإذن من قبل الحق عز وجل بإلهام في حق الأولياء . ووحى صريح في حق المرسلين والأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، فعمل ذلك عطاءً ومنعاً وعمهما الله بالرحمة والبركة ، والعافية والرضا ، والنور والمعرفة ، والقرب والغنى والسلامة من الآفات ، والنصر على الأعداء ، فاعلم ذلك واحفظه ، واحذر البلاء جداً في المسارعة إلى إجابة النفس والهوى ، بل توقف وترقب في ذلك إذن المولى جل جلاله ، فتسلم في الدنيا والعقبى إن شاء الله تعالى .

المقالة الثالثة والعشرون في الرضا بما قسم الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه : ارض بالدون والزمه جداً حتى يبلغ الكتاب أجله فتنقل إلى الأعلى والأنفس ، وبه تنهأ وفيه تبقى وتحفظ بلا عناء دنيا وأخرى ولا تبعة ولا عدوى ، ثم تترقى من ذلك إلى ما هو أقر عيناً منه وأهنأ .

واعلم أن القسم لا يفوتك بترك الطلب ، وماليس بقسم لاتناله بحرصك في الطلب والجهد والاجتهاد ، فإصبر والزم الحال وأرض به ، لاتأخذ بك حتى تؤمر ، ولا تعط بك حتى تؤمر ولا تتحرك بك ولا تسكن

(٧٠) الآية (٧) من سورة ابراهيم .

بك، فتبتلي بك ويمن هو شر منك من الخلق، لأنك بذلك تظلم والظالم لا يغفل عنه. قال الله عز وجل: (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) ^(٧١) لأنك في دار ملك عظيم أمره شديد وشوكته، كثير جنده نافذة مشيئته قاهر حكمه باق ملكه دائم سلطانه دقيق علمه بالغة حكمته عدل قضاؤه، (لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) ^(٧٢) لا يجاوزه ظلم ظالم فأنت أعظمهم ظلماً وأكبرهم جريمة، لأنك أشركت بتصرفك فيك وفي خلقه عز وجل بهواك. قال الله تعالى: (لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) ^(٧٣) وقال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ^(٧٤) اتق الشرك جداً ولا تقربه، واجتنبه في حركاتك وسكناتك وليلك ونهارك، في خلوتك وجلوتك، واحذر المعصية في الجملة في الجوارح والقلب واترك الإثم مظهر منه ومابطن، لا تهرب منه عز وجل فيدركك، ولا تنازعه في قضائه فيقصمك، ولا تتهمه في حكمه فيخذلك، ولا تغفل عنه فينبهك ويبتليك، ولا تحدث في داره حادثة فيهلكك، ولا تنقل في دينه بهواك فيزدريك ويظلم قلبك، ويسلب إيمانك ومعرفتك، ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك وشهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاءك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجنها وبقية هوامها فينغص عيشتك في الدنيا ويطيّل عذابك في العقبى.

المقالة الرابعة والعشرون في الحث على ملازمة باب الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: احذر معصية الله عز وجل جداً، والزم بابه حقاً، وابذل طوقك وجهدك في طاعته معتذراً متضرعاً مفتقراً

(٧١) الآية (١٢٩) من سورة الأنعام.

(٧٢) الآية (٣) من سورة سبأ.

(٧٣) الآية (١٣) من سورة لقمان.

(٧٤) الآية (١١٦) من سورة النساء.

خاضعاً، متخشعاً مطرقاً، غير ناظر إلى خلقه ولا تابع لهواك، ولا طالب للأعواض دنيا وأخرى، ولا ارتقاء إلى المنازل العالية والمقامات الشريفة، واقطع بأنك عبده والعبد وممالك لمولاه، لا يستحق عليه شيئاً من الأشياء .

أحسن الأدب ولا تتهم مولاك، فكل شيء عنده بمقدار، لا بمقدم لما آخر ولا مؤخر لما قدم، يأتيك ما قدر لك عند وقته وأجله إن شئت أو أبيت، لا تشره على ماسيكون لك، ولا تطلب وتلهف على ما هو لغيرك، فما ليس هو عندك لا يخلو إما أن يكون لك أو لغيرك، فإن كان لك فهو إليك صائر وأنت إليه مقاد ومسير، فاللقاء عن قريب حاصل وما ليس لك فأنت عنه مصروف وهو عنك مول فأنى لكما التلاق فاشتغل بإحسان الأدب فيما أنت بصده من طاعة مولاك عز وجل في وقتك الحاضر، ولا ترفع رأسك ولا تمل عنقك إلى ماسواه: قال الله تعالى: (ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)^(٧٥) فقد نهاك الله عز وجل عن الالتفات إلى غير ما أقامك فيه ورزقك من طاعته وأعطاك من قسمه ورزقه وفضله . ونبهك أن ماسوى ذلك فتنة إفتتنهم به، ورضاك بقسمك خير لك وأبقى وأبرك وأحرى وأولى، فليكن هذا دأبك ومتقلبك ومثواك، وشعارك ودثارك ومرادك ومرامك، وشهوتك ومناك، تنل به كل المرام، وتصل به إلى كل مقام وترقى به إلى كل خير ونعيم وطريف وسرور ونفيس . قال الله تعالى: (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)^(٧٦) ولا عمل بعد العبادات الخمس وترك الذنوب، ولا أجمع ولا أعظم ولا أشرف ولا أحب إلى الله عز وجل، ولا أرضى عنده مما ذكرنا لك، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى بمنه .

(٧٥) الآية (١٣١) من سورة طه .

(٧٦) الآية (١٧) من سورة السجدة .

المقالة الخامسة والعشرون في شجرة الإيمان

قال رضي الله عنه وأرضاه : لاتقولن يافقير اليد، يامولي عنه الدنيا وأبنائها، ياخامل الذكر بين ملوك الدنيا وأربابها، ياجائع يانائع ياعريان الجسد ياظلمآن الكبد يامشتتا في كل زاوية من الأرض من مسجد وبقاع خراب، ومردودا من كل باب، ومدفوعاً عن كل مراد، ومنكسراً ومزدحماً في قلبه كل حاجة ومرام، إن الله تعالى أفقرني وذوى عني الدنيا وغرني، وتركني وقلاني وفرقني ولم يجمعني وأهانني ولم يعطني من الدنيا كفاية، وأخملني ولم يرفع ذكرى بين الخليقة وإخواني وأسبل على غيري نعمة منه سابغة يتقلب فيها ليله ونهاره، وفضله عليّ وعلى أهل ديارى وكلانا مسلمان مؤمنان ويجمعنا أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، أما أنت فقد فعل الله ذلك بك، لأن طينتك حرة وندى رحمة الله متدارك عليك من الصبر والرضا واليقين والموافقة والعلم وأنوار الإيمان والتوحيد متراكم لديك، فشجرة إيمانك وغرسها وبذورها ثابتة مكينة مورقة مثمرة متزايدة متشعبة غضة مظلمة متفرغة، فهي كل يوم في زيادة ونمو، فلا حاجة بها إلى سباطة وعلف لتنمي بها وتربى، وقد فرغ الله عز وجل من أمرك على ذلك، وأعطاك في الآخرة دار البقاء وخولك فيها، وأجزل عطاءك في العقبى مما لآعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال الله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)^(٧٧) أي ماعملوا في الدنيا من أداء الأوامر، والصبر على ترك المناهي، والتسليم والتفويض إليه في المقدور، والموافقة له في جميع الأمور، وأما الغير الذي أعطاه الله عز وجل الدنيا وخوله ونعمه بها وأسبغ عليه فضله فعل به ذلك، لأن محل إيمانه أرض

(٧٧) الآية (١٧) من سورة السجدة .

سبخة^(٧٨) وصخر لا يكاد ينبت فيها الماء وتنبت فيها الأشجار، ويتربى فيها الزرع والثمار فصب عليها أنواع سباطه وغيرها مما يربى به النبات والأشجار، وهي الدنيا وحطامها ليحفظ بها ما أنبت فيها من شجرة الإيمان وغرس الأعمال، فلو قطع ذلك عنها لجف النبات والأشجار، وانقطعت الثمار، فخربت الديار، وهو عز وجل مريد عمارتها، فشجرة إيمان الغنى ضعيفة المنبت وخال عما هو مشحون به منبت شجرة إيمانك يافقير، فقوتها وبقاؤها بما ترى عنده من الدنيا وأنواع النعيم، فلو قطع ذلك عنه مع ضعف الشجرة جفت، فكان كفرًا وجحودًا وإلحاقًا بالمنافقين والمرتدين والكفار، اللهم إلا أن يبعث الله عز وجل إلى الغنى عساكر الصبر والرضا واليقين والتوفيق والعلم وأنواع المعارف فيتقوى الإيمان بها، فحينئذ لا يبالي بانقطاع الغنى والنعيم، والله الهادي الموفق .

المقالة السادسة والعشرون في النهي عن كشف البرقع عن الوجه

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا تكشف البرقع والقناع عن وجهك حتى تخرج من الخلق وتوليهم ظهر قلبك في جميع الأحوال ويزول هواك، ثم تزول إرادتك ومناك، فتفنى عن الأكوان دنيا أخرى، فتصير كإناء منثل لا يبقى فيك غير إرادة ربك عز وجل فتمتلئ به عز وجل وبحكمه، إذا خرج الزور دخل النور، فلا يكون لغير ربك في قلبك مكان ولا مدخل وجعلت بواب قلبك، وأعطيت سيف التوحيد والعظمة والجبروت، فكل من رأته دنا في ساحة صدرك إلى باب قلبك ندرت رأسه من كاهله فلا يكون لنفسك وهواك وإرادتك ومناك في دنياك وأخراك عندك رأس امتثال ولا كلمة مسموعة، لا رأى متبع إلا اتباع أمر

(٧٨) سبخة: أرض سبخة أي أرض ذات ملح ونز.

الرب عز وجل، والوقوف معه والرضا بقضائه وقدره، بل الفناء في فضائه وقدره، فتكون عبد الرب عز وجل وأمره لاعبد الخلق وآرائهم فإذا استمر الأمر فيك كذلك، ضربت حول قلبك سرادقات الغيرة وخنادق العظمة وسلطان الجبروت، وحف بجنود الحقيقة والتوحيد، ويقام دون ذلك حراس من الحق عز وجل، كيلا يخلص الخلق إلى تطلب القلب من الشيطان والنفس والهوى، والإرادات والأمانى الباطلة، والدعاوى الكاذبة الناشئة من الطباع والنفس الأمرة بالسوء، والضلالات الناشئة من الهوى فحينئذ إن كان القدر مجيء الخلق وتواترهم إليك وتتابعهم وتطابقهم عليك، ليصيبوا من الأنوار اللائحة والعلامات المنيرة والحكم البالغة، ويروا من الكرامات الظاهرة وخوارق العادة المستمرة، ويزدادوا بذلك من القربات والطاعات والمجاهدات والمكابدات في عبادة ربهم عز وجل، حفظت عنهم أجمعين، وعن ميل النفس إلى هواها، وعجبها ومباهااتها، وتعاضمها بالتكبر بهم وبقبولهم لك وإقبال وجوههم إليك، وكذلك إن قدر مجيء زوجة حسناء جميلة بكفائتها وسائر مؤنتها حفظت من شرها وحمل أثقالها وأتباعها وأهلها، وصارت عندك موهبة مكفاة مهنة منقاة مصفاة من الغش والخبث والحقد والغضب والخيانة في الغيب، فتكون لك مسخرة، وهي وأهلها محمولة عنك مؤنتها، مدفوعة عنك أذيتها، وإن قدر منها ولد كان صالحاً ذرية طيبة قرة عين. قال الله تعالى: (وأصلحنا له زوجه)^(٧٩) وقال تعالى: (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً)^(٨٠) وقال تعالى: (واجعله رب رضا)^(٨١) فتكون هذه الدعوات التي في هذه الآيات معمولاً بها مستجابة في حقلك إن دعوت بها أو لم تدع، إذ هي في محلها وأهلها لهذه المنزلة، وأقيم في هذا المقام وقدر له من الفضل

(٧٩) الآية (٩٠) من سورة الانبياء.

(٨٠) الآية (٧٤) من سورة الفرقان.

(٨١) الآية (٦) من سورة مريم.

والقرب هذا المقدار، وكذلك إن قدر مجيء شيء من الدنيا وإقبالها لا يضر إذا ذاك، فما هو قسمك منها فلا بد من تناوله وتصفيته لك بفعل الله عز وجل، وورود الأمر بتناوله وأنت ممثّل للأمر مثاب على تناوله، كما تثاب على فعل صلوات الفرض وصيام الفرض، وتؤمر فيما ليس بقسمك منها بصرفه إلى أربابه من الأصحاب والجيران وال الإخوان المستحقين الفقراء منهم وأصحاب الأقسام على ما يقتضي الحال، فالأحوال تكشفها وتميزها. ليس الخبر كالمعاينة، فحينئذ تكون من أمرك على بيضاء نقية لا غبار عليها ولا تلبيس ولا تخليط ولا شك وإرتياب، فالصبر الصبر، الرضا الرضا، حفظ الحال حفظ الحال، الخمول الخمول، الخمود الخمود، السكوت السكوت، الصموت الصموت، الحذر الحذر، النجا النجا، الوحا الوحا، الله الله ثم الله، الإطراق الإطراق الإغماض الإغماض الحياء الحياء إلى أن يبلغ الكتاب أجله، فيؤخذ بيدك فتقدم وينزع عنك ما عليك ثم تغوص في بحار الفضائل والمنن والرحمة ثم تخرج منها فتخلع عليك خلع الأنوار والأسرار والعلوم والغرائب المدنية، ثم تقرب وتحدث فيه بإعلام وإلهام وتكلم وتعطى وتغنى وتشجع وترفع، وتخطب: (إنك اليوم لدينا مكين أمين)^(٨٢) فحينئذ اعتبر حالة يوسف الصديق عليه السلام حين خوطب بهذا الخطاب على لسان ملك مصر وعظيمها وفرعونها، كان لسان الملك قائلاً معبراً بهذا الخطاب والمخاطب هو الله عز وجل على لسان المعرفة، سلم إليه المالك الظاهر وهو ملك مصر، وملك النفس وملك المعرفة والعلم والقربة والخصوصية وعلو المنزلة عنده عز وجل. قال تعالى في ملك الملك (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض)^(٨٣) أي في أرض مصر (يتبأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين)^(٨٤) قال تعالى في

(٨٢) الآية (٥٤) من سورة يوسف .

(٨٣) الآية (٢١) من سورة يوسف .

(٨٤) الآية (٥٦) من سورة يوسف .

ملك النفس : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)^(٨٥) وقال تعالى في ملك المعرفة والعلم : (ذالكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون)^(٨٦) فإذا خوطبت بهذا الخطاب يأياها الصديق الأكبر، أعطيت الحظ الأوفر، من العلم الأعظم، ومنحت وهنيت بالتوفيق والمنن والقدرة والولاية العامة، والأمر النافذ على النفس وغيرها من الأشياء والتكوين، بإذن إله الأشياء في الدنيا قبل الآخرة. وأما في الآخرة في دار السلام والجنة العليا، فالنظر إلى وجه المولى الكريم زيادة ومنة، وهو المنى الذي لا غاية له ولا منتهى، والله الموفق لحقائق ذلك، إنه رؤوف رحيم .

المقالة السابعة والعشرون في أن الخير والشر ثمرتان

قال رضي الله عنه وأرضاه : اجعل الخير والشر ثمرتين من غصنين من شجرة واحدة، أحد الغصنين يثمر حلواً والآخر مرّاً، فترك البلاد والأقاليم ونواحي الأرض التي يحمل إليها هذه الثمرة المأخوذة من هذه الشجرة، وابتعد منها ومن أهلها واقرب من الشجرة وكن سائسها وخادمها القائم عندها، واعرف الغصنين والثمرتين والجانبين، فكن إلى جانب الغصن المثمر حلواً، فحينئذ يكون غذاؤك وقوتك منها، واجتنب أن تقدم إلى جانب الغصن الآخر فتأكل من ثمرته فتهلك من مرارتها؛ فإذا دمت على هذا كنت في دعة وأمن وراحة وسلامة من الآفات كلها، إذ الآفات وأنواع البلايا تتولد من تلك الثمرة المرة، وإذا غبت عن تلك الشجرة وهمت في الآفاق وقدم بين يديك من تلك الثمرتين وهي مختلطة غير متميزة الحلوة من المرة هنا فتناولت منها، فربما وقعت يدك على المرة فأدنيته من فيك فأكلت منها جزءاً ومضغته، فسرت المرة إلى أعماق

(٨٥) الآية (٢٤) من سورة يوسف .

(٨٦) الآية (٣٧) من سورة يوسف .

لهواتك وباطن حلقك ودماغك وخياشيمك ، فعملت فيك وسرت في عروقك وأجزاء جسدك فهلكت بها ، ولفظك الباقي من فيك وغسل أثره لا ينفع ولا يدفع عنك ما قد سرى في جسدك ولا ينفعك ، وإن أكلت ابتداء^(٨٧) من الثمرة الحلوة وسرت حلاوتها في أجزاء جسدك وانتفعت بها وسررت فلا يكفيك لك ، فلا بد تتناول غيرها ثانياً ، فلا تأمن أن تكون الثانية من المرة فيحل بك مذكرته لك ، فلا خير في البعد عن الشجرة والجهل بثمرتها والسلامة في قربها والقيام معها ، فالخير والشر بفعل الله عز وجل ، والله هو فاعلها ومجريها . قال الله عز وجل : (والله خلقكم وماتعملون)^(٨٨) وقال النبي ﷺ « الله خلق الجازر وجزوره »^(٨٩) وأعمال العباد خلق الله عز وجل وكسبهم . قال تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)^(٩٠) سبحانه ما أكرمه وأرحمه أضاف العمل إليهم وأنهم استحقوا المدخول إلى الجنة بعملهم ، وهو بتوفيقه ورحمته لهم في الدنيا والآخرة .

قال ﷺ : « لا يدخل الجنة أحد بعمله ، فقليل له ولأنت يا رسول الله ؟ فقال : ولأنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ووضع يده على رأسي »^(٩١) مروي ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها ، فإذا كنت طائعاً لله عز وجل ممثلاً لأمره منتهياً لنهيهِ مسلماً له في قدره ؛ حماك عن شره وتفضل عليك بخيره وحماك عن الأسواء جميعها ديناً ودنيا . أما دنيا . فقلوه تعالى : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)^(٩٢) وأما دنيا فقلوه عز وجل : (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً)^(٩٣) ومن شاكر ما يفعل البلاء عنده

(٨٧) تصحيح كلمة ابتداء في الطبعة الميمية هي غداء .

(٨٨) الآية (٩٦) من سورة الصافات .

(٨٩) لم أجد له أصلاً فيما رجعت إليه .

(٩٠) الآية (٣٢) من سورة النحل

(٩١) رواه أحمد وأسنده حسن .

(٩٢) الآية (٢٤) من سورة يوسف .

(٩٣) الآية (١٤٧) من سورة النساء .

وهو إلى العافية أقرب من البلاء، لأنه شاكر: قال الله عز وجل: (لئن شكرتم لأزيدنكم)^(٩٤) فإيمانك يطفىء لهب النار في الآخرة التي هي عقوبة كل عاص، فكيف لا يطفىء نار البلايا في الدنيا؟ اللهم إلا أن يكون العبد من المجذوبين المختارين للولاية والاصطفاء والاجتباء، فلا بد من البلاء ليصفى به من خبث الهوى والميل إلى الطباع. والركون إلى شهوات النفس ولذاتها، والطمأنينة إلى الخلق والرضا بقربهم، والسكون إليهم والثبوت معهم والفرح بهم، فيتلى حتى يذوب جميع ذلك، ويتنظف القلب بخروج الكل، ويبقى توحيد الرب عز وجل ومعرفته وموارد الغيب من أنواع الأسرار والعلوم وأنوار القلب، لأنه بيت لا يسعه اثنان. قال الله عز وجل: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)^(٩٥) وقال تعالى: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة)^(٩٦) فأخرجوا الأعزة عن طيب المنازل ونعيم العيش، وكانت الولاية على القلب للشيطان والهوى والنفس والجوارح متحركة بأمرهم من أنواع المعاصي والأباطيل والترهات فزالت تلك الولاية فسكنت الجوارح وفرغت دار الملك التي هي القلب وتنظفت الساحة التي هي الصدر، فأما القلب فصار مسكيناً للتوحيد والمعرفة والعلم، وأما الساحة فمهبط الموارد والعجائب من الغيب؛ كل ذلك نتيجة البلايا وثمرتها، قال ﷺ «إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل»^(٩٧) وقال ﷺ: «أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً»^(٩٨) فكل

(٩٤) الآية (٧) من سورة ابراهيم .

(٩٥) الآية (٤) من سورة الأحزاب .

(٩٦) الآية (٣٤) من سورة النمل .

(٩٧) رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه وابن صبان وإحاكم عن سعد بن أبي وقاص . وقد تقدم ذكره .

(٩٨) رواه البيهقي والخطيب وابن عبد البر والديلمي وغيرهم عن أنس وروى هذا الحديث من طرق تبليغ رتبة الحسن .

من قرب من الملك اشتد خطره وحذره ، لأنه في مرأى من الملك لا يخفى عليه تصاريفه وحركاته .

فإن قلت : فالخليقة عند الله عز وجل بأجمعهم كشخص واحد لا يخفى عليه منهم شيء ، فأبي فائدة لهذا الكلام ؟ .

فنقول لك : لما علت منزلته وشرفت رتبته عظم خطره ، لأنه وجب عليه شكر ما أولاه من جسيم نعمة وفضله فأدنى الالتفات عن خدمته تقصير في شكره وذلك نقصان في طاعته ، قال الله عز وجل (يانسأ النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين)^(٩٩) قال ذلك لمن لتمام نعمه عز وجل عليهن باتصاھن بالنبي ﷺ ، فكيف من كان مواصلاً بالله عز وجل وقربه ، تعالى الله علواً كبيراً عن التشبيه بخلقه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)^(١٠٠) والله الهادي .

المقالة الثامنة والعشرون في تفصيل أحوال المرید

قال رضي الله عنه وأرضاه : أترید الراحة والسرور والدعة^(١٠١) والحبور ، والأمن والسكون والنعيم والدلال وأنت بعد في كير السبك والتدويب وتمويت النفس ومجانبة الهوى وإزالة المرادات والأعواض دنيا وأخرى وقد بقيت فيك بقية من ذلك ظاهرة لائحة؟ على رسلك يامستعجل مهلاً مهلاً ، يامترقب الباب مسدود إلى ذلك ، وقد بقيت عليك منه وفيك ذرة ومنه «المكاتب عبد مابقي عليه درهم» أنت مصدود عن ذلك مابقي عليك من الدنيا مقدار مص نواة ، والدنيا هواك ومرادك ورؤيتك بشيء من الأشياء أو طلبك بشيء من الأشياء وتشوق نفسك

(٩٩) الآية (٣٠) من سورة الأحزاب .

(١٠٠) الآية (١١) من سورة الشورى .

(١٠١) الدعة : الخفض والسكون .

إلى شيء من الأعواض دنيا وأخرى؛

فما دام فيك شيء من ذلك فأنت في باب الأفناء، فاسكن حتى يصل
الفناء على التمام والكمال، فتخرج من الكير وتكمل صياغتك وتجلي
وتكسى وتطيب وتبخر، ثم ترفع إلى الملك الأكبر فتخاطب بـ(إنك اليوم
لدينا مكين أمين)^(١٠٢) فتؤانس وتلاطف، وتطعم من الفضل ومنه تسقى
وتقرب وتدنى وتطلع على الأسرار وهي عنك لا تخفي فتغني بما تعطى
من ذلك عن جميع الأشياء. ألا ترى إلى قراصة الذاهب متفرقة مبتدلة
متداولة غادية رائحة في أيدي العطارين والبقالين والقصابين والذباغين
والنقاطين والكناسين والكفافين أصحاب الصنائع النفسية والرذيلة
الدنية الخبيثة، ثم تجمع فتجعل في كير الصائغ فتذوب هناك بإشعال
النار عليها، ثم تخرج منه فتطرق وترقق وتطلع وتصاغ فتجعل حلياً،
ثم تجلي وتطيب فتترك في خير المواضع والأمكنة من وراء الأغلاق في
الخزائن والصناديق والأحقاق وتحلى بها العروس وتزين وتكرم، وقد
تكون العروس للملك الأعظم فتنقل القراصة من هذه الأشياء إلى
قرب الملك ومجلسه بعد السبك والدق، هكذا أنت يامؤمن إذا صبرت
على مجاري الأقدار فيك ورضيت بالقضاء في جميع الأحوال قربت إلى
مولاك عز وجل في الدنيا، فتنعم بالمعرفة والعلوم والأسرار، وتسكن في
الأخرة دار السلام مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في جوار
الله وداره وقربه عز وجل، فاصبر ولا تستعجل، وإرض بالقضاء
ولا تتهم، فسينالك برد عفو الله ولطفه وكرمه بمنه تعالى .

(١٠٢) الآية (٥٤) من سورة يوسف .

المقالة التاسعة والعشرون

في قوله ﷺ : «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(١٠٣)

قال رضي الله عنه وأرضاه : يؤمن العبد بالله ويسلم الأمور كلها إليه عز وجل ، ويعتقد تسهيل الرزق منه ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، ويؤمن بقوله عز وجل : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)^(١٠٤) ويقول ذلك ويؤمن به وهو في حال العافية والفناء ثم يبتليه الله عز وجل بالبلاء والفقر فيأخذ في السؤال والتضرع فلا يكشفهما عنه ، فحينئذ يتحقق قوله ﷺ : «كاد الفقر أن يكون كفراً» فمن تلطف الله به كشف عنه مابه فأدركه بالعافية والغنى ويوفقه للشكر والحمد والثناء ويديم له ذلك إلى اللقاء ومن يرد الله فتنته يديم بلاءه وفتنته وفقره فيقطع عنه مدد إيمانه فيكفر بالاعتراض والتهمة له عز وجل والشك في وعده فيموت كافراً بالله عز وجل جاحداً لآياته ومسخطاً على ربه ، وإليه أشار رسول الله ﷺ بقوله : «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل جمع الله له بين الدنيا وعذاب الآخرة»^(١٠٥) نعوذ بالله من ذلك وهو الفقر المنسي الذي استعاذ منه النبي ﷺ ، والرجل الثاني هو الذي أراد الله عز وجل اصطفاؤه واجتباؤه وجعله من خواصه وأحبابه وأخلائه وورث

(١٠٣) للحديث تنمة «وكاد الجسد أن يكون سبق القدر» .

رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه .

(١٠٤) الآية (٢) من سورة الطلاق .

(١٠٥) لذلك في الحديث «من نوقش الحساب فقد عذب» متفق عليه من حديث عائشة وفي

حديث آخر يدل على الحذر من الدنيا «حلالها حساب وحرامها عذاب»

أخرجه أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقة موقوفاً عن علي بن أبي طالب باسناد منقطع بلفظ «وحرامها النار» .

أنبياءه وسيد أوليائه، ومن عظماء عباده وعلماهم وحكمائهم وشفعائهم وشيوخهم ومتبوعهم ومعلمهم وهاديتهم إلى مولاهم، ومرشدهم إلى سبيل الهدى واجتناب سبل الردى، فأرسل إليه جبال الصبر وبحار الرضى والموافقة والغنى في قضائه وفعله، ثم يدركه بجزيل العطاء ويدعو الله في آناء الليل وأطراف النهار في الجلوة والخلوة في الظاهر مرة وفي الباطن أخرى بأنواع اللطف وفنون الجذبات فيتصل له ذلك إلى حين اللقاء، والله الهادي .

المقالة الثلاثون في النهي عن قول الرجل أي شيء أعمل وما الحيلة؟

قال رضي الله عنه وأرضاه: وأكثر ماتقول أي شيء أعمل وما الحيلة، فيقال لك قف مكانك ولا تتجاوز حدك حتى يأتبك الفرج ممن أمرك بالقيام فيما أنت فيه . قال الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)^(١٠٦) أمرك بالصبر يامؤمن، ثم بالمصابرة والمرابطة والمحافظة والملازمة ثم حذرك تركه فقال: (واتقوا الله) في ترك ذلك: أي لا تتركوا الصبر فإن الخير والسلامة فيه، وقال النبي ﷺ: «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد»^(١٠٧) وقيل: كل شيء ثوابه بمقدار إلا ثواب الصبر فإنه جراف بغير مقدار، لقوله تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)^(١٠٨) فإذا اتقيت الله عز وجل حفظك للصبر ومحافظة الحدود وأنجز لك ما وعدك في كتابه وهو قوله عز وجل: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)^(١٠٩)

(١٠٦) الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران .

(١٠٧) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف .

(١٠٨) الآية (١٠) من سورة الزمر .

(١٠٩) الآية (٢) من سورة الطلاق .

وكنـت بصبرك حتى يأتـيك الفرج من المتوكـلين وقد وعدك الله عز وجل بالكفاية فقال : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ^(١١٠) وكنـت مع صبرك وتوكلـك من المحسنين ، وقد وعدك بالجزاء فقال عز وجل : (وكذلك نجزي المحسنين) ^(١١١) ويحبك الله مع ذلك ، لأنه قال : (إن الله يحب المحسنين) ^(١١٢) فالصبر رأس كل خير وسلامة دنيا وأخرى ، ومنه يترقى المؤمن إلى حالة الرضى والموافقة ، ثم الفناء في أفعال الله عز وجل حالة البدلية والغيبية ، فاحذر أن تتركه فيخذلك في الدنيا والآخرة ويفوتك خيرهما ، نعوذ بالله من ذلك .

المقالة الحادية والثلاثون في البغض في الله

قال رضي الله عنه وأرضاه : إذا وجدت بقلبك بغض شخص أو حبه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة ، فإن كانت فيهما مبغوضة فأبشر بموافقتك الله عز وجل ورسوله ، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى تبغضه بهواك ظالماً له ببغضك إياه وعاص لله عز وجل ولرسوله مخالف لهما ، فتب إلى الله عز وجل من بغضك واسأله عز وجل محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده ، لتكون موافقاً له عز وجل ، وكذلك إفعل بمن تحبه يعني أعرض أعماله على الكتاب والسنة ، فإن كانت محبوبة فيهما فاحبيه ، وإن كانت مبغوضة فابغضه كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك . قال عز وجل : (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ^(١١٣) .

(١١٠) الآية (٣) من سورة الطلاق .

(١١١) الآية (٢٢) من سورة يوسف .

(١١٢) الآية (١٣) من سورة المائدة .

(١١٣) الآية (٢٦) من سورة «ص» .

المقالة الثانية والثلاثون في عدم المشاركة في محبة الله

قال رضي الله عنه وأرضاه: ما أكثر ما تقول كل من أحبه لا تدوم محبتي إياه في حال بيننا إما بالغيبة أو بالموت أو بالعداوة وأنواع المال بالتلف والفوات من اليد، فيقال لك: أما تعلم يا محبوب الحق المعنى المنظور إليه المغار له وعليه ألم تعلم أن الله عز وجل غيور خلقك له وتروم أن تكون لغيره؟ أما سمعت قوله عز وجل: (يحبهم ويحبونه)^(١١٤) وقوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)^(١١٥) أما سمعت قول الرسول ﷺ: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اقتناه. قيل: يارسول الله وما اقتناه؟ قال: لم يذر له مالا ولا ولدا»^(*) وذلك لأنه إذا كان له مال وولد أحبهما فتنقص وتجزى، فتصير مشتركة بين الله عز وجل وبين غيره، والله تعالى لا يقبل الشريك، وهو غيور قاهر، فوق كل شيء، غالب لكل شيء، فيهلك شريكه ويعدمه ليخلص قلب عبده له من غير شريك، فيتحقق حينئذ قوله عز وجل: (يحبهم ويحبونه) حتى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد من الأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الولد والرياسات والكرامات والحالات والمنازل والمقامات والجنان والدرجات والقربان والزلفات فلا يبقى في القلب إرادة ولا أمنية، يصير كالإناء المثلث^(١١٦) الذي لا يثبت فيه مائع لأنه انكسر لفعل الله وغيرته فضربت حوله سرادقات العظمة والجبروت والهيبة وأحضرت من دونها خنادق الكبرياء والسطوة فلم يخلص إلى

(١١٤) الآية (٥٤) من سورة المائدة.

(١١٥) الآية (٥٦) من سورة الذاريات.

(*) رواه أبو عقبة الخولاني بلفظ: إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه. قالوا يارسول الله وما اقتناؤه؟ قال: لم يترك له مالا ولا ولداً.

(١١٦) المثلث: الذي كسر من شفته شيء.

القلب إرادة شيء من الأشياء فحينئذ لا يضر القلب الأسباب من المال والولد والأهل والأصحاب والكرامات والحكم والعلم والعبادات فإن جميع ذلك يكون خارج القلب فلا يغار الله عز وجل بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعبده ولطفاً به ونعمة ورزقاً ومنفعة للواردين عليه فيكرمون به ويرحمون ويحفظون لكرامته على الله عز وجل فيكون خفياً لهم وكنفاً وحرزاً وشفيعاً دنياً وأخرى .

المقالة الثالثة والثلاثون في تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام

قال رضي الله عنه وأرضاه : الناس أربعة رجال :

(رجل) لالسان له ولا قلب وهو العاص الغر الغبي لا يعبأ الله به ، لاخير فيه ، وهو وأمثاله حثالة^(١١٧) لا وزن لهم إلى أن يعمهم الله عز وجل برحمته ، فيهدي قلوبهم للإيمان به وتحرك جوارحهم بالطاعة له عز وجل ، فاحذر أن تكون منهم ، ولا تكثر بهم ولا تضم فيهم فانهم أهل البذاب والغضب والسخط سكان النار وأهلها نعوذ بالله عز وجل منهم إلا أن تكون من العلماء بالله عز وجل ومن معلمي الخير وهداة الدين وقواده ودعاته فدونك فاتهم وإدعهم إلى طاعة الله عز وجل وحذرهم معصيته فكتب عند الله حينئذ جهبذا فتعطي ثواب الرسل والأنبياء قال رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه «لأن يهدي الله بهداك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس»^(١١٨) .

(الرجل الثاني) رجل له لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها ، يدعو الناس إلى الله وهو يفر منه عز وجل ، يستقبح عيب غيره ويدوم هو على مثله في نفسه ، يظهر للناس تنسكاً ويبارز الله عز وجل

(١١٧) حثالة : الرديء من كل شيء .

(١١٨) للحديث تنمة هي «مما طلعت عليه الشمس وغربت والحديث مروي عن أبي رافع» .

بالعظائم من المعاصي ، إذا خلا كأنه ذئب عليه ثياب ، وهو الذي حذر منه النبي ﷺ بقوله «أخوف ما أخاف على أمتي من كل منافق عليم اللسان»^(١١٩) وفي حديث آخر «أخوف ما أخاف على أمتي من علماء السوء»^(١٢٠) . نعوذ بالله من هذا ، فابعد منه وهروا لئلا يختطفك بلذيد لسانه فتحرقك نار معاصيه ، ويقتلك فتن باطنة وقلبه .

(والرجل الثالث) قلب بلا لسان ، وهو مؤمن ستره الله عز وجل من خلقه ، وأسبل عليه كنفه ، وبصره بعيوب نفسه ، ونور قلبه ، وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام والنطق ، وتيقن ان السلامة في الصمت والانزواء والانفراد ، واسمع قول ﷺ : «من صمت نجا»^(١٢١) واسمع قول بعض العلماء :

العبادة عشرة أجزاء : تسعة منها في الصمت ، فهذا رجل ولى الله عز وجل في ستر الله محفوظاً ذو سلامة وعقل وافر ، جليس الرحمن منعم عليه ، فالخير كل الخير عنده ، فدونكه ومصاحبته ومخالطته وخدمته والتحبب إليه بقضاء حوائج تسنح له ومرافق يرتفق بها فيحبك الله ويصطفيك ، ويدخلك في زمرة أحبائه وعباده الصالحين ببركته إن شاء الله تعالى .

(والرجل الرابع) المدعو في الملكوت بالعظيم كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ «من تعلم وعلم ، وعمل دعي في الملكوت عظيماً»^(١٢٢) ، وهو العالم بالله عز وجل وآياته ، استودع الله عز وجل قلبه غرائب علمه ،

(١١٩) رواه ابن عدي عن عمر رضي الله عنه .

(١٢٠) وجدته بلفظ آخر «علماء السوء جسور جهنم» قال النجم رواه ابن المبارك في الزهد عن ابن عمر .

(١٢١) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر وبسند فيه ضعيف وقال غريب وهو عند الطبراني بسند جيد .

(١٢٢) رواه الديلمي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنها «ولفظه من تعلم وعلم الله كتب في ملكوت السموات عظيماً» .

وأطلععه على أسرار طواها عن غيره، واصطفاه واجتباها وجذبه إليه ورقاه، وإلى باب قربه هداه، وشرح صدره لقبول تلك الأسرار والعلوم وجعله جهبذا وداعياً للعباد ونذيراً لهم وحجة فيهم، هادياً مهدياً شافعاً مشفعاً صادقاً صديقاً، بدلاً لرسله وأنبيائه عليهم صلواته وسلامه وتحياته وبركاته.

فهذه هي الغاية القصوى في بني آدم، لا منزلة فوق منزلته إلا النبوة، فعليك به واحذر أن تخالفه وتنافره وتجانبه وتعاديته وترك القبول منه والرجوع إلى نصيحته وقوله، فإن السلامة فيما يقول عنده، والهلاك والضلال عند غيره إلا من يوفقه الله عز وجل ويمده بالسداد والرحمة .

فقد قسمت لك الناس، فانظر لنفسك إن كنت ناظراً، واحترز لها إن كنت محترزاً لها شقيقاً عليها، هدايا الله وإياك لما يحبه ويرضاه.

المقالة الرابعة والثلاثون في النهي عن السخط على الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: ما أعظم تسخطك على ربك وتهمتك له عز وجل، واعتراضك عليه وانتسابك له عز وجل بالظلم، واستبطائك في الرزق والغنى وكشف الكروب والبلوى، أما تعلم أن لكل أجل كتاب، ولكل زيادة بلية وكربة غاية ومنتهى ونفاد، لا يتقدم ذلك ولا يتأخر، أوقات البلى لا تقلب فتصير عوافي ووقت البؤس لا ينقلب نعيماً^(١٢٣)، وحالة الفقر لا تستحيل غنى .

أحسن الأدب والزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك عز وجل، وتب عن تسخطك عليه وتهمتك له في فعله، فليس هناك استيفاء وانتقام من غير ذنب، ولا عرض على الطبع كما هو في حق

(١٢٣) في النسخة الثانية نعيمه .

العبيد بعضهم في بعض ، هو عز وجل منفرد بالأزل وسبق الأشياء ، خلقها وخلق مصالحها ومفاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وانقضاءها ، وهو عز وجل حكيم في فعله متقن في صنعه لاتناقض في فعله ، لايفعل عبثاً ولايخلق باطلاً لعباً ، ولاتجوز عليه النقائص ولا اللوم في أفعاله ، فانتظر الفرج حتى إن عجزت عن موافقته وعن الغنى في فعله حتى يبلغ الكتاب أجله ، فتسفر الحالة عن ضدها بمرور الزمان وانقضاء الآجال ، كما ينقضي الشتاء فيسفر عن الصيف ، وينقضي الليل فيسفر عن النهار ، فإذا طلبت نور ضوء النهار ونوره بين العشاءين لم تعطه ، بل يزداد في ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر وجاء النهاء بضوئه طلبت ذلك وأردته وسكت عنه وكرهته ، فإن طلبت إعادة الليل حينئذ لم تجب دعوتك ولم تعطه لأنك طلبت الشيء في غير حينه ووقته فتبقى حسيراً منقطعاً متسخطاً خجلاً ، فأرخ هذا كله والزم الموافقة وحسن الظن بربك عز وجل والصبر الجميل ، فما كان لك لاتسلبه ، وماليس لك لاتعطاه . لعمرى إنك تدعو وتبتهل إلى ربك عز وجل بالدعاء والتضرع وهو عبادة وطاعة امتثالاً لأمره عز وجل في قوله تعالى : (ادعوني أستجب لكم)^(١٢٤) وقوله تعالى : (وأسألوا الله من فضله)^(١٢٥) وغير ذلك من الآيات والأخبار ، أنت تدعو وهو يستجيب لك عند حينه وأجله إذا أراد وكان لك في ذلك مصلحة في دنياك وأخراك ويوافق في ذلك قضاءه وانتهاء أجله ، لاتتهمه في تأخير الإجابة ولا تسأم من دعائه ، فإنك إن لم تربح لم تخسر ، وإن لم يجبك عاجلاً أثابك آجلاً ، فقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : «العبد يرى في صحائفه حسنات يوم القيامة لايعرفها فيقال له إنها بدل سؤالك في الدنيا الذي

(١٢٤) الآية (٦٠) من سورة غافر .

(١٢٥) الآية (٣٢) من سورة النساء .

لم يقدر قضاؤه فيها»^(١٢٦) أو كما ورد ثم أقل أحوالك أنك تكون ذاكرًا
لربك عز وجل موحدًا له حيث تسأله ولا تسأل أحدًا غيره، ولا تترك حاجتك
لغيره تعالى، فأنت بين الحالتين في زمانك كله ليلك ونهارك وصحتك
وسقمك وبؤسك ونعمائك وشدتك ورخائك، إما أن تمسك عن السؤال
وترضى بالقضاء وتوافق وتسترسل لفعله عز وجل، كالميت بين يدي
الغاسل، والطفل الرضيع في يدي الظئر^(١٢٧)، والكرة بين يدي الفارس
يقلبها بصولجانه، فيقلبك القدر كيف يشاء، إن كان النعماء فمنك
الشكر والثناء ومنه عز وجل المزيد في العطاء، كما قال تعالى (لئن شكرتم
لأزيدنكم)^(١٢٨) وإن كان البأساء فالصبر والموافقة منك بتوفيقه والتثبت
والنصرة والصلاة والرحمة منه عز وجل بفضلته وكرمه كما قال عز من
قائل (إن الله مع الصابرين)^(١٢٩) بنصره وتثبيتته، وهو لعبده ناصر له على
نفسه وهواه وشيطانه. وقال تعالى: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم)^(١٣٠) إذا نصرت الله في مخالفة نفسك وهواك بترك الاعتراض
عليه والسخط بفعله فيك وكنت خصمًا لله على نفسك سياقًا عليها كلما
تحركت بكفرها وشركها حززت رأسها بصبرك وموافقتك لربك
والطمأنينة إلى فعله ووعدده والرضا بهما كان عز وجل لك معينًا وأما
الصلاة والرحمة، فقوله عز وجل: (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم
مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وأولئك هم المهتدون)^(١٣١) والحالة الأخرى أنك تبتهل إلى ربك

(١٢٦) في الحديث عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاؤه ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاؤه ابن آدم سخطه بما قضى الله له. «رواه الترمذي».

(١٢٧) الظئر: العاطفة على ولد غيرها المرضعة له في الناس وغيرهم.

(١٢٨) الآية (٧) من سورة إبراهيم.

(١٢٩) الآية (١٥٣) من سورة البقرة.

(١٣٠) الآية (٤٠) من سورة التوبة.

(١٣١) الآية (١٥٥) من سورة البقرة.

عز وجل بالدعاء والتضرع إعظماً له وامثالاً لأمره، وفيه وضع الشيء في موضعه؛ لأنه ندبك إلى سؤاله والرجوع إليه، وجعل ذلك مستراحاً ورسولاً منك إليه وموصلة ووسيلة لديه بشرط ترك التهمة والسخط عليه عند تأخير إجابة إلى حينها، اعتبر ما بين الحالتين ولا تكن ممن تجاوز عن أحدهما فإنه ليس هناك حالة أخرى، فاحذر أن تكون من الظالمين المعتدين فيهلكك عز وجل ولا يبالي كما أهلك من مضى من الأمم السالفة في الدنيا بتشديد بلائه وفي الآخرة بأليم عذابه.

المقالة الخامسة والثلاثون في الورع

قال رضي الله عنه وأرضاه: عليك بالورع وإلا فاهلاك في زيفك ملازم لك لا تنجو منه أبداً إلا أن يتغمذك الله تعالى برحمته، فقد ثبت في الحديث المروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ملاك الدين الورع، وهلاكه الطمع، وإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع، كالرابع إلى جنب الزرع يوشك أن يمد فاه إليه لا يكاد أن يسلم الزرع منه»^(١٣٢).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: كنا نترك سبعين باباً من المباح مخافة أن نقع في الجناح^(١٣٣). وعن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام، فعلوا ذلك تورعاً من مقاربة الحرام أخذاً بقول النبي ﷺ: «لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»^(١٣٤) فمن دخل حصن الملك فجاز الباب

(١٣٢) رواه البخاري ومسلم بلفظ آخر.

(١٣٣) وفي حديث آخر «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لبأس به حذراً لما به بأس» رواه الترمذي. وهذا من باب قوله ﷺ «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» رواه الترمذي.

(١٣٤) رواه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

الأول ثم الثاني والثالث حتى قرب من سدته خير ممن وقف على الباب الأول الذي يلي البر، فإنه إن أغلق عنه غلق الباب الثالث لم يضره وهو من وراء بايين من أبواب القصر ومن دونه حراس الملك وجنده وأما إذا كان على الباب الأول فأغلقوا عنه بقي في البر وحده فأخذته الذئاب والأعداء وكان من الهالكين، فهكذا من سلك العزيمة ولازمها: إن سلب عنه مدد التوفيق والرعاية وانقطعت عنه حصل على الرخص ولم يخرج عن الشرع، فإذا أدركته المنية كان على العبادة والطاعة ويشهد له بخير العمل، ومن وقف على الرخص ولم يتقدم إلى العزيمة إن سلب عنه التوفيق فقطعت عنه أمداده، فغلب الهوى عليه وشهوات النفس، فتناول الحرام خرج من الشرع فصار في زمرة الشياطين أعداء الله عز وجل الضالين عن سبيل الهدى، فإن أدركته المنية قبل التوبة كان من الهالكين إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته وفضله، فالخطر في القيام مع الرخص، والسلامة كل السلامة مع العزيمة، والله الهادي إلى سواء الطريق .

المقالة السادسة والثلاثون في بيان الدنيا والآخرة وما ينبغي أن يعمل فيهما

قال رضي الله عنه وأرضاه: اجعل آخرتك رأس مالك ودنياك ربحه، واصرف زمانك أولاً في تحصيل آخرتك، ثم إن فضل من زمانك شيء اصرفه في دنياك وفي طلب معاشك، ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه، ثم إن فضل من الزمان فضلة صرفتها في آخرتك تقضي فيها الصلوات تسبكه سبيكة واحدة ساقطة الأركان، مختلفة الواجبات من غير ركوع وسجود وطمأنينة بين الأركان، أو يلحقك التعب والإعياء فتنام عن القضاء جملة، جيفة^(١٣٥) في الليل بطلاً في النهار، تابعاً لنفسك

(١٣٥) جيفة: جثة الميت إذا أراح.

وهواك وشيطانك ، وبائعاً آخرتك بدنياك عند النفس ومطيتها ومركبها ، أمرت بركوبها وتهذيبها ورياضتها والسلوك بها في سبيل السلامة وهي طرف الآخرة وطاعة مولانا عز وجل فظلمتها بقبولك منها وسلمت زمانها إليها وتبعتها في شهواتها ولذاتها وموافقتها وشيطانها وهواها ففاتك خير الدنيا والآخرة وخسرتهما فدخلت القيامة أفلس الناس وأخسرهم ديناً ودنياً ، وماوصلت بمتابعتها إلى أكثر من قسمك من دنياك ، ولو سلكت طريق الآخرة وجعلتها رأس مالك ربحت الدنيا والآخرة ووصلت إليك قسمك من الدنيا هنيئاً مريئاً وأنت مصون مكرم كما قال النبي ﷺ : « إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا »^(١٣٦) وكيف لا يكون كذلك ونية الآخرة هي طاعة الله لأن النية روح العبادات وذاتها .

وإذا أطعت الله بزهدك في الدنيا أو طلبك دار الآخرة كنت من خواص الله عز وجل وأهل طاعته ومحبته ، وحصلت لك الآخرة وهي الجنة وجوار الله عز وجل وخدمتك الدنيا فيأتيك قسمك الذي قدر لك منها ، إذ الكل تبع لخالقها ومولاها وهو الله عز وجل ، وإن اشتغلت بالدنيا وأعرضت عن الآخرة غضب الرب عليك ففاتتك الآخرة وتعاصت الدنيا عليك وتعسرت وأتعبتك في إيصال قسمك إليك لغضب الله عز وجل عليك لأنها مملوكته ، تهيئ من عصاه وتكرم من أطاعه ، فيحقق حينئذ قوله ﷺ : « الدنيا والآخرة ضرطان ، إن أَرْضِيت إحداهما أسخِطت عليك الأخرى »^(١٣٧) . قال الله تعالى : (منكم من

(١٣٦) وجدته بلفظ وأبى أن يعطي الآخرة على نية الدنيا وفي لفظ ثاني وأبى أن يعطي على نية الدنيا وفي اللفظين هما عن ابن المبارك عن أنس .

(١٣٧) ذكره في الاحياء من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وفي معناه أيضاً ما عند أحمد ومسلم وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي موسى من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنيته فأثروا ما يبقى على ما يفنى .

يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة^(١٣٨) يعني به أبناء الآخرة، فانظر م
أبناء أيهما أنت ؟ ومن أي القبيلتين تحب أن تكون وأنت في الدنيا؟ ثم
إذا صرت إلى الآخرة فالخلق فريقان فريق طلب الدنيا وفريق في طلب
الآخرة، وهم أيضاً يوم القيامة فريقان (فريق في الجنة وفريق في
السعير)^(١٣٩) فريق في الموقف قيام في طول الحساب في يوم كان مقداره
خمسین ألف سنة مما تعدون كما قال تعالى، وفريق في ظل العرش كما
أخبر النبي ﷺ: «إنكم تكونون يوم القيامة في ظل العرش عاكفون على
الموائد، عليها أطيب الطعام والفواكه والشهد أبيض من الثلج»^(١٤٠) كما
جاء في الحديث «ينظرون منازلهم في الجنة حتى إذا فرغ من حساب
الخلق دخلوا الجنة، يهتدون إلى منازلهم كما يهتدي أحد الناس في الدنيا
إلى منزله»^(١٤١) فهل وصلوا إلى هذه إلا بتركهم الدنيا واشتغالهم بطلب
الآخرة والمولى. وهل وقع أولئك في الحساب وأنواع الشدائد والذل إلا
لاشتغالهم بالدنيا ورغبتهم فيها وزهدهم في الآخرة وقلة المبالاة بأمرها
ونسيان يوم القيامة وما سيصرون إليه غداً مما ذكر في الكتاب والسنة .
فانظر لنفسك نظر رحمة وشفقة، واختر لها خير القبيلتين وأفرادها
عن أقوال السوء من شياطين الإنس والجن، واجعل الكتاب والسنة
أمامك، وانظر فيهما واعمل بهما، ولا تغتر بالقال والقليل والهوس .
قال الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا

(١٣٨) الآية (١٥٢) من سورة آل عمران .

(١٣٩) الآية (٧) من سورة الشورى .

(١٤٠) ومما روي أيضاً من نعيم الجنة حديث ابن مسعود: «انك لتنظر الى الطير في الجنة
فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً» . أخرجه البزار باسناد صحيح .

(١٤١) ومما روي في نعيمها أيضاً حديث متفق عليه . قال أبو سعيد الخدري : قال رسول ﷺ :
«ان أهل الجنة ليرأون أهل الغرف كما تتراؤون الكواكب الغائر من المشرق الى المغرب لتفاضل
ما بينهم» .

قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء ولا يبلغها غيرهم؟ قال «بل والذي نفسي بيده
رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» . .

الله^(١٤١) ولا تخالفوه فتركوا العمل بها جاء به وتخترعوا لأنفسكم عملاً وعبادة كما قال عز وجل في حق قوم ضلوا سواء السبيل (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)^(١٤٣)، ثم إنه قد زكى هو عز وجل نبيه ﷺ ونزّهه عن الباطل والزور فقال عز وجل: (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى)^(١٤٤) أي ما آتاكم به فهو من عندي لا من هواه ونفسه فاتبعوه، ثم قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(١٤٥) فبين أن طريق المحبة اتباعه قولاً وفعلاً، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: «الاكتساب سنتي، والتوكل حالتي»^(١٤٦) أو كما قال، فأنت بين سنته وحالته وإن ضعف إيمانك فالتكسب الذي هو سنته وإن قوى إيمانك فحالته التي هي التوكل قال الله تعالى: (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)^(١٤٧) وقال تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)^(١٤٨) وقال تعالى: (إن الله يحب المتوكلين)^(١٤٩) فقد أمرك بالتوكل ونبهك عليه كما أمر نبيه ﷺ في قوله: (وتوكل على الله)^(١٥٠) فاتبع أوامر الله عز وجل في سؤاله في أعمالك فهي مردودة عليك. قال النبي ﷺ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١٥١) هذا يعم طلب الرزق والأعمال والأقوال، ليس لنا نبي غيره

(١٤٢) الآية (٧) من سورة الحشر.

(١٤٣) الآية (٢٧) من سورة الحديد.

(١٤٤) الآية (٣) من سورة النجم.

(١٤٥) الآية (٣١) من سورة آل عمران.

(١٤٦) عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله: لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتروح بطاناً.

(١٤٧) الآية (٢٣) من سورة المائدة.

(١٤٨) الآية (٣) من سورة الطلاق.

(١٤٩) الآية (١٥٩) من سورة آل عمران.

(١٥٠) الآية (٦١) من سورة الانفال.

(١٥١) رواه مسلم ولمسلم والبخاري لفظ آخر عن عائشة رضي الله عنها.

فتتبعه ولا كتاب غير القرآن فنعمل به ، فيضلك هواك والشيطان . قال .
الله تعالى : (ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)^(١٥٢) فالسلامة مع
الكتاب والسنة ، والهلاك مع غيرهما ، وبهما يترقى العبد إلى حالة الولاية
والبدلية والغوثية ، والله أعلم .

المقالة السابعة والثلاثون في ذم الحسد والأمر بتركه

قال رضي الله عنه وأرضاه : مالي أراك يامؤمن حاسداً لجارك في
مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وتقلبه في غناه ونعم مولاه عز
وجل وقسمه الذي قسم له؟ أما تعلم أن هذا مما يضعف إيمانك
ويسقطك من عين مولاك عز وجل ويبغضك إليه؟ أما سمعت الحديث
المروي عن النبي ﷺ أنه قال : «قال الله تعالى في بعض ماتكلم به :
الحسود عدو نعمتي»^(١٥٣) وما سمعت قول النبي ﷺ : «إن الحسد يأكل
الحسنة كما تأكل النار الحطب»^(١٥٤) ثم على أي شيء تحسده يامسكين؟
أعلى قسمه أم على قسمك؟ فإن حسدته على قسمه الذي قسمه الله له
في قوله تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا)^(١٥٥) فقد
ظلمته ، رجل يتقلب في نعمة مولاه التي تفضل بها عليه وقدرها له ولم
يجعل لأحد فيها حظاً ولا نصيباً ، فمن يكون أظلم وأبخل وأرعن
وأنقص عقلاً منك؟ وإن حسدته على قسمك فقد جهلت غاية الجهل ،
فإن قسمك لا يعطي غيرك ولا ينتقل منك إليه ، حاش لله . قال الله عز

(١٥٢) الآية (٢٦) من سورة «ص» .

(١٥٣) قال رسول الله ﷺ لاحسد الا في اثنين : رجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آتاء الليل
وأطراف النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آتاء الليل وآتاء النهار . ويسمى هذا الحسد
حسد غبطة .

(١٥٤) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس .

(١٥٥) الآية (٣٢) من سورة الزخرف .

وجل : (ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد)^(١٥٦) إن الله عز وجل لا يظلمك فيأخذ ما قسم وقدر لك غيرك ، فهذا جهل منك وظلم لأخيك ، ثم حسدك للأرض التي هي معدن الكنوز والذخائر من أنواع الذهب والفضة والجواهر مما جمعتها الملوك المتقدمة من عاد وثمود وكسرى وقيصر أولي من حسدك لجارك المؤمن أو الفاجر ، فإن ما في بيته لا يكون جزءاً من أجزاء ألف ألف جزء مما هناك ، فما حسدك لجارك إلا كمثّل رجل رأى ملكاً مع سلطانه وجنوده وحشمه ومملكة وعلى أراضي واجباته خراجها وارتفاعها لديه وتنعمه بأنواع النعم واللذات والشهوات فلم يحسده على ذلك ثم رأى كلباً يخدم كلباً من كلاب ذلك الملك يقوم ويقعد ويصيح فيعطي من مطبخ الملك بقايا الطعام وردائته فيتقوت به وأن يخلفه في ذلك خسة ودناءة لازهداً وديناً وقناعة ، فهل يكون في الزمان رجل أحق منه وأرعن وأجهل ؟ .

ثم لو علمت يامسكين ماسيلقى جارك غداً من طول الحساب يوم القيامة إن لم يكن أطاع الله فيما خوله وأدى حقه فيها ، وامثال أمره وانتهاء نبيه فيها ، واستعان بها على عبادته وطاعته ما يمتنى أنه لم يعط من ذلك ذرة ولا رأى نعيماً يوماً قط ، أما سمعت ما قد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « ليطمنن أقوام يوم القيامة أن تفرض لحومهم بالمقاريض مما يرون لأصحاب البلاء من الثواب »^(١٥٧) فيتمنى جارك غداً مكانك في الدنيا لما يرى من طول حسابه ومناقشته وقيامه خمسين ألف سنة في حر الشمس في القيامة ، لأجل ما يمتع به من النعيم في الدنيا وأنت في معزل عن ذلك في ظل العرش آكلاً شارباً متنعماً فرحاً مسروراً مستريحاً ، لصبرك على شدائد الدنيا وضيقها وآفاتا وبؤسها وفقرها ، ورضاك وموافقتك لربك عز وجل فيما دبر وقضى من فقرك وغناء غيرك ،

(١٥٦) الآية (٢٩) من سورة «ق» .

(١٥٧) لفظ الحديث كما ورد في سنن الترمذي عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرصت بالمقاريض .

وسقمك وعافية غيرك ، وشدتك ورخاء غيرك ، وذلك وعز غيرك ، جعلنا الله وإياك ممن صبر عند البلاء ، وشكر على النعماء ، وفوض الأمور إلى رب السماء .

المقالة الثامنة والثلاثون في الصدق والنصيحة

قال رضي الله عنه وأرضاه : من عامل مولاه بالصدق والنصح ، استوحش مما سواه في المساء والصبح .

ياقوم لاتدعوا ماليس لكم ، ووحّدوا ولا تشركوا ، والله إن سهام القدر تصيبكم خدشاً لا قتلاً ، من كان في الله تلفه فعلى الله خلفه .

المقالة التاسعة والثلاثون في تفسير الشقاق والوفاق والنفاق

قال رضي الله عنه وأرضاه : الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق ، والأخذ مع عدم الهوى وفاق وإنفاق وتركه رياء ونفاق .

المقالة الأربعون متى يصح السالك أن يكون في زمرة الروحانيين

قال رضي الله عنه وأرضاه : , لاتطمع أن تدخل في زمرة الروحانيين حتى تعادى جملتك ، وتباين جميع الجوارح والأعضاء ، وتنفرد عن وجودك وحركاتك وسكناتك وسمعك وبصرك وكلامك وبطشك وسعيك وعملك وعقلك ، وجميع ما كان منك قبل وجود الروح فيك وما أوجد فيك بعد نفخ الروح ، لأن جميع ذلك حجابك عن ربك عز وجل ، فإذا صرت روحاً منفردة ، سر السر ، غيب الغيب ، مبايناً للأشياء في سر ، متخذاً

لاكل عدواً وحجاباً وظلمة كما قال ابراهيم الخليل عليه السلام (فإنهم عدو لي إلا رب العالمين)^(١٥٨) قال ذلك للأصنام ، فاجعل أنت جملتك وأجزاءك أصناماً مع سائر الخلق ، فلا تطع شيئاً من ذلك ولا تتبعه جملة ، فحينئذ تؤمن على الأسرار والعلوم اللدنية وغرائبها ، ويرد إليك التكوين وخرق العادات التي هي من قبيل القدرة التي تكون للمؤمنين في الجنة ، فتكون في هذه الحالة كأنك أحييت بعد الموت في الآخرة فتكون كليتك قدرة ، وتسمع بالله ، وتنطق بالله ، وتبصر بالله ، وتبتطش بالله ، وتسعى بالله ، وتعقل بالله ، وتطمئن وتسكن بالله ، فتعمى عن سواه وتصم عنه ، فلا ترى لغيره وجوداً مع حفظ الحدود والأوامر والنواهي ، فإن انخرم فيك شيء من الحدود فاعلم أنك مفتون متلاعب بك الشياطين ، وارجع إلى حكم الشرع ودع عنك رأى الهوى ، لأن كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهي زندقة ، والله أعلم .

المقالة الحادية والأربعون مثل في الفناء وكيفيته

قال رضي الله عنه وأرضاه : نضرب لك مثلاً في الفناء فنقول : ألا ترى أن الملك يولي رجلاً من العوام ولاية على بلدة من البلاد ، ويخلع عليه ويعقد له ألوية ورايات ، ويعطيه الكؤوس والطبل والجند فيكون على ذلك برهة من الزمان ، حتى إذا اطمأن واعتقد بقاءه وثباته ، وعجب به ونسى حالته الأولى ونقصانه وذله وفقره وخموله ، وداخلته النخوة والكبرياء جاءه العزل من الملك في أشر ما كان من أمره ، ثم طالبه الملك بجرائم صنعها وتعدى أمره ونهيه فيها ، فحبسه في أضييق الحبوس وأشدها ، وطال حبسه ودام ضره وذله وفقره ، وذابت نخوته وكبرياؤه ، وانكسرت نفسه وخمدت نار هواه ، وكل ذلك في عين الملك ثم تعطف الملك عليه فنظره بعين الرأفة والرحمة ، فأمر بإخراجه من الحبس

(١٥٨) الآية (٧٧) من سورة الشعراء .

والإحسان إليه، والخلعة عليه ورد الولاية إليه ومثلها معها وجعلها له موهبة، فدامت له وبقيت مصفاة مكفاة مهناة وكذلك المؤمن إذا قربته الله واجتنبه فتح قبالة عين قلبه باب الرحمة والمنة والإنعام، فيرى بقلبه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من مطالعة الغيوب من ملكوت السموات والأرض، وتقريب وكلام لذيد لطيف ووعد جميل، ووفاء به، وإجابة دعاء وكلمات حكمة وتصديق وعد، فإنها ترمي إلى قلبه قذفاً من مكان بعيد فتظهر على لسانه، ومع ذلك يسبغ عليه نعمة ظاهرة على جسده وجوارحه، في المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح الحلال والمباح وحفظ الحدود والعبادات الظاهرة فيديم الله عز وجل ذلك لعبده المؤمن المجذوب برهة من الزمان، حتى اطمئن العبد إلى ذلك واغتر به واعتقد دوامه فتح عليه أبواب البلايا وأنواع المحن في النفس والمال والأهل والولد والقلب، فينقطع عنه جميع ما كان أنعم الله عليه من قبل، فيبقى متحيزاً حسيراً منكسراً مقطوعاً به.

إن نظر إلى ظاهرة رأى ميسوؤه، وإن نظر إلى قلبه وباطنه رأى ما يحزنه، وإن سأل الله تعالى كشف مابه من الضر لم ير إجابته، وإن طلب وعداً جميلاً لم يجده سريعاً وإن وعد بشيء لم يعثر على الوفاء به، وإن رأى رؤيا لم يظفر بتعبيرها وتصديقها، وإن رام الرجوع إلى الخلق لم يجد إلى ذلك سبيلاً، وإن ظهرت له ذلك رخصة فعمل بها تسارعت العقوبات نحوه وتسلطت أيدي الخلق على جسمه وألسنتهم على عرضه؛ وإن طلب إقالة مما قد أدخل فيه من الحالة الأولى قبل الاجتناء لم يقل، وإن طلب الرضا أو الطيبة والنعيم بما به من البلاء لم يعط فحينئذ تأخذ النفس في الذوبان والهوى في الزوال والإرادة والأمني في الرحيل والأكوان في التلاشي، فيدام له ذلك بل يزداد تشديداً وعصراً^(١٥٩) وتأكيداً، حتى إذا فني العبد من الأخلاق الإنسانية

(١٥٩) عصراً وليست عصراً.

والصفات البشرية وبقي روحاً فقط يسمع نداء في باطنه (اركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب^(١٦٠)) كما قيل لسيدنا أيوب عليه
السلام، فيمطر الله عز وجل في قلبه بحار رحمته ورأفته ولطفه ومنته .
ويحييه بروحه ويطييه بمعرفته ودقائق علومه، ويفتح عليه أبواب رحمته
ونعمته ودلاله، وأطلق إليه الأيدي بالبذل والعطاء والخدمة في سائر
الأحوال والألسن بالحمد والثناء، والذكر الطيب في جميع المحال،
والأرجل بالترحال، وذلل له وسخر له الملوك والأرباب، وأسبغ عليه
نعمة ظاهرة وباطنة، تربية ظاهرة يخلقه ونعمه، ويستأثر تربية باطنه
بلطفه وكرمه، وأدام له ذلك إلى اللقاء، ثم يدخله فيها لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال جل وعلا (فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)^(١٦١).

المقالة الثانية والأربعون في بيان حالي النفس

قال رضي الله عنه وأرضاه: النفس لها حالتان لاثالث لهما حالة
عافية، وحالة بلاء، فإذا كانت في بلاء فالجزع والشكوى والسخط
والاعتراض والتهمة للحق جل وعلا لا صبر ولا رضى ولا موافقة، بل
سوء الأدب والشرك بالحق والأسباب والكفر، وإذا كانت في عافية
فالشره والبطر واتباع الشهوات واللذات، كلما نالت شهوة طلبت
أخرى، واستحقرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب وملبوس
ومنكوح ومسكون ومركوب، فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوباً
ونقصاً؛ وتطلب أعلى منها وأسنى مما لم يقسم لها، وتعرض عما قسم لها،
فيرتكب الغمرات ويخوض المهالك في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى
في الدنيا، ثم في العقبى، كما قيل: إن من أشد العقوبات طلب ما لا

(١٦٠) الآية (٤٢) من سورة «ص».

(١٦١) الآية (١٧) من سورة السجدة.

يقسم ، وإذا كانت في بلاء لا تتمنى سوى انكشافها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة ولا تطلب شيئاً منها ، فإذا عوفيت منها رجعت إلى رعونتها وشرها وبطرها وإعراضها عن طاعة ربها وانهاكها في معاصيه ، وتنسى ما كانت فيه من أنواع البلاء والضرر وما حل بها من الويل ، لما اجترحت وركبت من العظائم فطمأ لها وكفا عن المعاصي في المستقبل ، إذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل حفظها في البلاء والبؤس ، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلية ولازمت الطاعة والشكر والرضى بالمقسوم لكان خيراً لها ديناً وأخرى ، وكانت تجد زيادة في النعيم والعافية والرضى من الله عز وجل والطيبة والتوفيق ، فمن أراد السلامة في الدنيا والأخرى فعليه بالصبر والرضا ، وترك الشكوى إلى الخلق وإنزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه والانقطاع إليه عز وجل ، إذ هو خير من غيره ومن جميع خلقه ، حرمانه عطاء ، عقوبته نعماء ، بلاؤه دواء ، وعده نقد ، قوله فعل مشيئة حاله ، إنما قوله وأمره : (إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)^(١٦٢) كل أفعاله حسنة وحكمة ومصلحة ، غير أنه طوى علم المصالح من عباده وتفرد به ، فالأولى واللائق بحالة الرضى والتسليم ، واشتغاله بالعبودية من أداء الأوامر وانتهاء النواهي والتسليم في القدر ، وترك الاشتغال في الربوبية التي هي علة الأقدار ومحاربتها ، والسكوت عن لم وكيف ومتى ؟ والتهمة للحق عز وجل في جميع حركاته وسكناته ، وتستند هذه الجملة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو ما روى عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «بينما أنا رديف رسول ﷺ إذ قال لي يا غلام : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن ، فلو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو جهد العباد أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه فان استطعت أن تعامل الله بالصدق واليقين

(١٦٢) الآية (٨٢) من سورة يس .

فاعمل ، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ماتكره خيراً كثيراً ، واعلم أن النصر بالصر والفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً^(١٦٣) فينبغي لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة لقلبه وشعاره ودثاره وحديثه ، فيعمل به في جميع حركاته وسكنائه حتى يسلم في الدنيا والآخرة ويجد العزة فيهما ، برحمة الله عز وجل .

المقالة الثالثة والأربعون في ذم السؤال من غير الله تعالى

قال قدس الله سره : ماسأل الناس من سأل إلا جهله بالله عز وجل وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه وقلة صبره ، وماتعفف من تعفف عن ذلك إلا لوفور علمه بالله عز وجل وقوة إيمانه ويقينه وتزايد معرفته بربه عز وجل في كل يوم ولحظة وحيائه منه عز وجل .

المقالة الرابعة والأربعون في سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى

قال قدس الله سره : إنما لم يستجب للعارف كلما يسأل ربه عز وجل ويوفي له بكل وعد لثلا يغلب عليه الرجاء فيهلك ، لأن مامن حالة ومقام إلا ولذاك خوف ورجاءهما كجناحي طائر لا يتم الإيمان ، إلا بهما وكذلك الحال والمقام ، غير أن خوف كل حالة ورجاءها بما يليق بها ، فالعارف مقرب وحالته ومقامه أن لا يريد شيئاً سوى مولاه عز وجل ولا يركن ولا يطمئن إلى غيره عز وجل ، ولا يستأنس بغيره ، فطلبه لإجابة سؤاله والوفاء بعهد غير ماهو بصدده ولاثق بحاله ففي ذلك أمران اثنان : أحدهما لثلا يغلب عليه الرجاء والعزة بمكر ربه عز وجل فيغفل

(١٦٣) أخرجه الترمذي عن ابن عباس .

عن القيام بالأدب فيهلك، والآخره شركه بربه عز وجل بشيء سواه، إذ لامعصوم في العالم في الظاهر بعد الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فلا يجيبه ولا يوفي له كيلا يسأل عادة ويريده طبعاً لامثالاً للأمر، لما في ذلك من الشرك والشرك كبيرة في الأحوال كلها والأقدام جميعها والمقامات بأسرها.

وأما إذا كان السؤال بأمر فذلك مما يريده قرباً كالصلاة والصيام وغيرهما من الفرائض والتوافل، لأنه يكون في ذلك ممثلاً للأمر.

المقالة الخامسة والأربعون في النعمة والإبتلاء

قال رضي الله عنه وأرضاه: إن الناس رجلان: منعم عليه، ومبتلى بما قضى ربه عز وجل، فالمنعم عليه لا يخلو من المعصية والتكدر فيما أنعم عليه، فهو في أنعم ما يكون من ذلك إذ جاء القدر بما يكدره عليه من أنواع البلايا من الأمراض والأوجاع والمصائب في النفس والمال والأهل والأولاد فيتعظ بذلك، فكأنه لم ينعم عليه قط وينسى ذلك النعيم وحلاوته وإن كان الغني قائماً بالمال والجاه والعبيد والإماء والأمن من الأعداء فهو في حال النعماء كأن لا بلاء في الوجود، كل ذلك لجهله بمولاه عز وجل وبالدنيا، فلو علم أن مولاه عز وجل (فعال لما يريد)^(١٦٤) يبدل، ويحلى ويمر، ويغنى ويفقر، ويرفع ويخفض، ويعز ويذل، ويحيى ويميت، ويقدم ويؤخر، لما اطمأن إلى مابه من النعيم، ولما اغتربه، ولما أيس من الفرج في حالة البلاء؛ وبجهله أيضاً بالدنيا اطمأن إليها وطلب بها صفاء لا يشوبه كدر، ونسي أنها دار بلاء وتنغيص، وتكاليف وتكدير، وأن أصلها بلاء وطارفها نعماء فهي كشجرة الصبر أول ثمرتها مر وآخرها شهد حلوا، لا يصل المرء إلى حلاوتها حتى يتجرع مرارتها،

(١٦٤) الآية (١٠٧) من سورة هود.

فلن يبلغ إلى الشهد إلا بالصبر على المر، فمن صبر على بلائها حلي له نعيمها، إنما يعطى الأجير أجره بعد عرق جبينه وتعب جسده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته وإذلال نفسه وكسر هواه في خدمة مخلوق مثله، فلما تجرع هذه المرائر كلها أعقبت له طيب طعام وإدام وفاكهة ولباس وراحة وسرور ولو أقل قليل، فالدنيا أولها مرة كالصفحة العليا من غسل في ظرف مشوبة بمرارة، فلا يصل الآكل إلى قرار الظرف ويتناول الخالص منه إلا بعد تناول الصفحة العليا، فإذا صبر العبد على أداء أوامر الرب عز وجل وانتهاء نواهيهِ، والتسليم والتفويض فيما يجري به القدر، وتجرع مرائر ذلك كله وتحمل أثقاله، وخالف هواه وترك مراده، أعقبه الله عز وجل بذلك طيب العيش في آخر عمره والدلال والراحة والعزة، ويتولاه ويغذيه كما يغذي الطفل الرضيع من غير تكلف منه وتحمل مؤنة وتبعة في الدنيا والأخرى كما يتلذذ آكل المر من الصفحة العليا من الغسل يأكله من قرار الظرف، فينبغي للعبد المنعم عليه أن لا يأمن مكر الله عز وجل، فيغتر بالنعمة ويقطع بداومها، ويغفل عن شكرها ويرخي قيدها بتركها لشكرها، قال النبي ﷺ: «النعمة وحشية فقيدوها بالشكر»^(١٦٥) فشكر نعمة المال الإعراف بها للمنعم المتفضل وهو الله عز وجل والتحدث بها لنفسه في سائر الأحوال ورؤية فضله ومنته عز وجل وأن لا يتملك عليه ولا يتجاوز حده فيه، ولا يترك أمره فيه، ثم بأداء حقوقه من الزكاة والكفارة والنذر والصدقة، وإغاثة الملهوف، واقتاد أرباب الحاجات وأهلها في الشدائد عند تقلب

(١٦٥) لذلك في الحديث «نعم المال الصالح للرجل الصالح» رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من

حديث عمر بن العاص بسند جيد .

لأن الرجل الصالح يعلم فضل الله عليه فيتوجه بهاله نحو العمل الصالح أي يسخر

مارزقه الله من مال في طاعته ورضوانه .

وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام للسيدة عائشة : احفظ جوار ربك فإن النعم

لاتدوم ، قلما نفرت عن قوم وعادت اليهم والمقصود هنا حفظ النعمة والشكر عليها

الأحوال وتبدل الحسنات بالسيئات، أعني ساعات النعيم والرخاء
بالأساء والضراء، وشكر نعمة العافية في الجوارح والأعضاء في
الإستعانة بها على الطاعات والكف عن المحارم والسيئات، والمعاصي
والآثام، فذلك قيد النعم عن الرحلة والذهاب، وسقى شجرتها وتنمية
أغصانها وأوراقها، وتحسين ثمرتها، حلاوة طعمها، وسلامة عاقبتها،
ولذاذة مضغها، وسهولة بلعها، وتعقب عافيتها وريعتها في الجسد، ثم
ظهور بركتها على الجوارح من أنواع الطاعات والقربات والأذكار، ثم
دخول العبد بعد ذلك في الآخرة في رحمه الله عز وجل؛ والخلود في
الجنان مع النبيين - والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
 رفيقاً - فإن لم يفعل ذلك واغتر بما ظهر من زينة الدنيا وبما ذاق من
لذاتها، واطمأن إلى بريق سراها وما لاح من برقها وما هب من نسيم أول
نهار قيظها، ونعومة جلود حياتها وعقاربها، وغفل وعمى عن سمومها
القاتلة المودعة في أعماقها؛ ومكامنهم ومصايدها المنصوبة لأخذه وحبسه
وهلاكه، فليهنأ للردى وليستبشر بالعطب والفقر العاجل، مع الذل
والهوان في الدنيا والعذاب الآجل في النار ولظى .

وأما المبتلى، فتارة يبتلى عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها ومعصية
اقترفها، وأخرى يبتلى تكفيراً وتمحيصاً، وأخرى يبتلى لارتفاع الدرجات
وتبليغ المنازل العاليات ليلحق بأولى العلم من أهل الحالات
والمقامات، مما سبقت لهم عناية من رب الخليفة والبريات، وسيرهم
مولاهم ميادين البليات على مطايا الرفق والألطف، وروحهم بنسيم
النظرات واللحظات في الحركات والسكنات؛ إذ لم يكن ابتلاهم
للإهلاك والإهواء في الدركات، ولكن اختبرهم بهاللاصطفاء والاجتباء
واستخرج بها منهم حقيقة الإيمان وصفها وميزها من الشرك والدعاوى
والنفاق، ونحلهم بها أنواع العلوم والأسرار والأنوار، فجعلهم من
الخلص الخواص، ائتمنهم على أسرارهم، وارتضاهم لمجالسته . قال

النبي ﷺ : «الفقراء الصبر جلساء الرحمن يوم القيامة»^(١٦٦) دنيا وأخرى في الدنيا بقلوبهم وفي الآخرة بأجسادهم ، فكانت البلايا مطهرة لقلوبهم من دون الشرك ، والتعلق بالخلق والأسباب والأمانى والإرادات ، وذوابة لها وسبابة من الدعاوي والهوسات ، وطلب الأعواض بالطاعات من الدرجات والمنازل العاليات في الآخرة في الفردوس والجنات .

فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات ، عدم الصبر عند وجودها والجزع والشكوى إلى الخليفة والبريات .

وعلامة الابتلاء تكفيراً وتمحيصاً للخطيات وجود الصبر الجميل من غير شكوى وإظهار الجزع إلى الأصدقاء والجيران والتضجر بأداء الأوامر والطاعات .

وعلامة الابتلاء ارتفاع وجود الرضا والموافق ، وطمأنينة النفس والسكون بفعل إله الأرض والسموات ، والفناء فيها إلى حين الانكشاف بمرور الأيام والساعات .

المقالة السادسة والأربعون في قوله ﷺ عن الحديث القدسي «من شغله ذكرى» إلى آخره

قال رضي الله عنه وأرضاه في قول النبي ﷺ عن ربي عز وجل : «من شغله ذكرى من مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»^(١٦٧) وذلك أن المؤمن إذا أراد الله عز وجل اصطفاؤه واجتباؤه ؛ سلك به الأحوال وامتحنه بأنواع المحن والبلايا فيفقره بعد الغنى ويضطره إلى مسألة الخلق في الرزق عند سد جهاته عليه ، ثم يصونه من مسألتهم

(١٦٦) ومما جاء في فضل الفقراء «عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسة عشر عاماً نصف يوم ، قال هذا الحديث حسن صحيح .
(١٦٧) للحديث طريقين مرة عن عمرو بن مرة مرسلًا وأخرى عن ابن عمر عن جابر .

ويضطره إلى القرض منهم ثم يصونه عن القرض ويضطره إلى الكسب ويسهله عليه ويسره له فيأكل بالكسب الذي هو السنة، ثم يعسره عليه ويلهمه السؤال للخلق، ويأمره به بأمر باطن يعلمه ويعرفه ويجعل عبادته فيه ومعصيته في تركه، ليزول بذلك هواه وتنكس نفسه وهي حالة الرياضة، فيكون سؤاله على وجه الإيجابار لاعلى وجه الشرك بالجبار، ثم يصونه عن ذلك ويأمره بالقرض منهم أمراً جزماً لا يمكنه تركه كالسؤال من قبل ثم ينقله من ذلك ويقطعه عن الخلق ومعاملتهم؛ فيجعل رزقه في السؤال له عز وجل فيسأله جميع ما يحتاج إليه فيعطيه عز وجل ولا يقطعه إن سكت وأعرض عن السؤال، ثم ينقله من السؤال باللسان إلى السؤال بالقلب فيسأله بقلبه جميع ما يحتاج فيعطيه حتى أنه لو سأله بلسانه لم يعطه أو سأل الخلق لم يعطوه، يغنيه عنه وعن السؤال جملة ظاهراً وباطناً، فيناديه بجميع ما يصلحه ويقوم به أوده من المأكول والمشروب والملبوس وجميع مصالح البشر من غير أن يكون هو فيها أو تخطر بباله، فيتولاه عز وجل وهو قوله عز وجل: (إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)^(١٦٨) فيتحقق حينئذ قوله عز وجل: «من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» وهي حالة الفناء التي هي غاية أحوال الأولياء والأبدال، ثم قد يرد إليه التكوين فيكون جميع ما يحتاج إليه بإذن الله وهو قوله جلا وعلا في بعض كتب «يا ابن آدم أنا الله الذي لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون» .

المقالة السابعة والأربعون في التقرب إلى الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: سألتني رجل شيخ في المنام فقال: أي شيء يقرب العبد إلى الله عز وجل؟ فقلت: لذلك ابتداء وانتهاء،

(١٦٨) الآية (١٩٦) من سورة الاعراف .

فابتدأه الورع وانتهأه الرضى والتسليم والتوكل .

المقالة الثامنة والأربعون فيما ينبغي للمؤمن أن يشتغل به

قال رضي الله عنه وأرضاه: ينبغي للمؤمن أن يشتغل أولاً بالفرائض، فإذا فرغ منها اشتغل بالسنن، ثم يشتغل بالنوافل والفضائل، فما لم يفرغ من الفرائض فلاشتغال بالسنن حمق ورعونة، فان اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض لم يقبل منه وأهين، فمثله كمثل رجل يدعوه الملك إلى خدمته فلا يأتي إليه ويقف في خدمة الأمير الذي هو غلام الملك وخادمه وتحت يده وولايته .

عن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: إن مثل مصلي النوافل قبل الفرائض كمثل حبل حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فلا هي ذات حمل ولا هي ذات ولادة، كذلك المصلي لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدي الفريضة^(١٦٩). ومثل المصلي كمثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يأخذ رأس المال، وكذلك المصلي بالنوافل لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة، وكذلك من ترك السنة واشتغل بنافلة لم ترتب مع الفرائض ولم ينص عليها ويؤكد أمرها فمن الفرائض ترك الحرام والشرك بالله عز وجل في خلقه، والاعتراض عليه في قدره وقضائه واجابة الخلق وطاعتهم والإعراض عن أمر الله عز وجل وطاعته. قال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١٧٠).

(١٦٩) تأتي مكانة النوافل بعد الفراغ من تأدية الفرائض حق الأداء حينئذ تكون النوافل مكملة للفرائض كما أشار إليه ابن دقيق العيد بقوله قد ورد أن النوافل جارية لنقصان الفرائض. وفي الحديث «حسنوا نوافلكم فيها تكمل فرائضكم».

(١٧٠) عن أبي سيرين ان عمران بن حصين قال للحكم الغفاري: اسمعت النبي ﷺ يقول: لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق؟ قال: نعم. «أبو نعيم».

المقالة التاسعة والأربعون في ذم النوم

قال رضي الله عنه وأرضاه: من اختار النوم على الذي هو سبب اليقظة فقد اختار الأنقص والأدنى واللحوق بالموت والغفلة عن جميع المصالح، لأن النوم أخو الموت ولهذا لا يجوز النوم على الله لما انتفى عز وجل عن النقائص أجمع، وكذلك الملائكة لما قربوا منه عز وجل نفى النوم عنهم، وكذلك أهل الجنة لما كانوا في أرفع المواضع وأطهرها وأنفسها وأكرمها نفى النوم عنهم لكونه نقصاً في حالتهم؛ فالخير كل الخير في اليقظة، والشر كل الشر في النوم والغفلة، فمن أكل بهواه أكل كثيراً فشرب كثيراً فنام كثيراً فندم كثيراً طويلاً وفاته خير كثير، ومن أكل قليلاً من الحرام كان كمن أكل كثيراً من المباح بهواه، لأن الحرام يغطي الإيمان ويظلمه كالخمر يظلم العقل ويغطيه، فإذا أظلم الإيمان فلا صلاة ولا عبادة ولا إخلاص، ومن أكل من الحلال كثيراً بالأمر كان كمن أكل منه قليلاً في النشاط والعبادة والقوة، فالحلال نور في نور، والحرام ظلمة في ظلمة، لا خير فيه. أكل الحلال بهواه بغير الأمر، وأكل الحرام مستجلبان للنوم؛ فلا خير فيه.

المقالة الخمسون في علامة دفع العبد^(١٧١) عن الله تعالى، وبيان كيفية التقرب منه تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا يخلو أمرك من قسمين: إما أن تكون غائباً عن القرب من الله أو قريباً منه وإصلاً إليه، فإن كنت غائباً عنه فما قعودك وتوانيكَ عن الحظ الأوفر والنعيم والعز

(١٧١) «في علامة دفع العبد» في الطبعة الميمنية هو «في علاج دفع البعد».

الدائم والكفاية الكبرى والسلامة والغنى والدلال في الدنيا والأخرى؟ فقم وأسرع في الطيران إليه عز وجل بجناحين أحدهما: ترك اللذات والشهوات الحرام منها والمباح والراحات أجمع، والآخر احتمال الأذى والمكاره وركوب العزيمة والأشد، والخروج من الخلق والهوى والإرادات والمنى دنيا وأخرى حتى تظفر بالوصول والقرب، فتجد عند ذلك جميع ماتمتنى، وتحصل لك الكرامة العظمى والعزة الكبرى فإن كنت من المقربين الواصلين إليه عز وجل ممن أدركتهم العناية وشملتهم الرعاية وجذبتهم المحبة ونالتهم الرحمة والرأفة، فأحسن الأدب ولا تغتر بها أنت فيه، فتقصر في الخدمة، وتخلد إلى الرعونة الأصلية من الظلم والجهل والعجل في قوله تعالى: (وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً)^(١٧٢) وقوله تعالى: (وكان الإنسان عجولاً)^(١٧٣) واحفظ قلبك من الالتفات إلى ما تركته من الخلق والهوى والإرادة والتخير وترك الصبر والموافقة والرضى عند نزول البلاء، واستطرح بين يدي الله عز وجل كالكرة بين يدي الفارس يقلبها بصولجانه، والميت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في حجر أمه وظئره، تعامى عمن سواه عز وجل فلا ترى لغيره وجوداً ولا ضرراً ولا نفعاً ولا عطاءً ولا منعاً، اجعل الخليفة والأسباب عند الأذية والبلية كسوطه عز وجل يضربك به، عند النعمة والعطية كيده يلقمك بها.

المقالة الحادية والخمسون في الزهد

قال رضي الله عنه وأرضاه: الزاهد يثاب بسبب الأقسام مرتين يثاب في تركها أولاً، فلا يأخذها بهواه وموافقة النفس، بل يأخذها بمجرد الأمر، فإذا تحققت عداوته لنفسه ومخالفته لهواه عد من المحقين

(١٧٢) الآية (٧٢) من سورة الاحزاب.

(١٧٣) الآية (١١) من سورة الاسراء.

وأهتل--الولاية وأدخل في زمرة الأبدال والعارفين أمر حينئذ بتناولها والتلبس بها، إذ هي قسمة لا بد له منها لم تخلق لغيره، جف بها القلم وسبق بها العلم، فإذا امتثل الأمر فتناول أو اطلع بالعلم فتلبس بها بجريان القدر والفعل فيه من غير أن يكون هو فيه، لاهوى ولا إرادة ولاهمة أثيب بذلك ثانياً، هو ممثّل للأمر بذلك أو موافق لفعل الحق عز وجل فيه .

فإن قال قائل: كيف أطلقت القول بالثواب لمن هو في المقام الأخير الذي ذكرته من أنه أدخل في زمرة الأبدال والعارفين المفعول فيهم، الفنانين عن الخلق والأنفس والأهوية والإرادات والحظوظ والأمانى والأعواض على الأعمال الذين يرون جميع طاعاتهم وعباداتهم فضلاً من الله عز وجل ونعمة ورحمة وتوفيقاً وتيسيراً منه عز وجل ويعتقدون أنهم عبيد الله عز وجل، والعبد لا يستحق على مولاه حقاً، إذ هو برمته مع حركاته وسكناته وأكسابه ملك لمولاه، فكيف يقال في حقه يثاب وهو لا يطلب ثواباً ولا عوضاً على فعله ولا يرى له عملاً، بل يرى نفسه من البطالين وأفلس المفلسين من الأعمال .

فنقول: صدقت، غير أن الله عز وجل يواصله بفضله ويدلله بنعمه ويربيه بلطفه ورأفته وبره ورحمته وكرمه، إذ كف يده عن مصالح نفسه وطلب الحظوظ لها وجلب النفع إليها ودفع الضر عنها، فهو كالطفل الرضيع الذي لا حراك له في مصالح نفسه وهو مدلل بفضل الله عز وجل ورزقه الدار على يدي والديه الوكيلين الكفيلين؛ فلما سلب عنه مصالح نفسه عطف قلوب الخلق عليه وأوجد رحمة وشفقة له في القلوب حتى كل واحد يرحمه ويتعطف عليه ويبره، فهكذا الكل فان عن سوى الله الذي لا يحركه غير أمره أو فعله مواصل بفضل الله عز

وجل دنيا وأخرى مدلل فيهما مدفوع عنه الأذى متولى ، قال تعالى : (إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)^(١٧٤) .

المقالة الثانية والخمسون في سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين

قال رضي الله عنه وأرضاه : إنما يتبلي الله طائفة من المؤمنين الأحباب من أهل الولاية ليردهم بالبلاء إلى السؤال فيحب سؤالهم ، فإذا سألوا يجب إجابتهم فيعطي الكرم والجود حقهما لأنهما يطالبان لأنه عز وجل عند سؤال المؤمنين من الإجابة ، وقد تحصل الإجابة ولا يحصل النقد والنقاد لتعويق القدر لاعلى وجه عدم الإجابة والحرمان ، فليتأدب العبد عند نزول البلاء ، وليفتش عن ذنوبه في ترك الأوامر وارتكاب المناهي مظهر منها وما بطن . والمنازعة في القدر إذ تعاقب عليه ، إنما يتبلي بذلك مقابلة ، فإن انكشف البلاء ، وإلا ، فليتخذ إلى الدعاء والتضرع والإعتذار فيديم بالسؤال لجواز أن يكون ابتلاءه ليسأله ، ولايتهمه لتأخير الإجابة لما بيناه ، والله أعلم .

المقالة الثالثة والخمسون في الأمر بطلب الرضى من الله ، والفناء به تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه : اطلبوا من الله عز وجل الرضا أو الفناء ، لأنه هو الراحة الكبرى والجنة العالية المنفردة في الدنيا ، وهو باب الله الأكبر وعلة محبة الله لعبده المؤمن ، فمن أحبه الله لم يعذبه في الدنيا والآخرة فيه اللقوق بالله عز وجل والوصول إليه ، ولا تشتغلوا بطلب الحظوظ وأقسام لم تقسم أو قسمت ، فإن كانت لم تقسم فلاشتغال بطلبها حق ورعونة وجهالة ، وهو أشد العقوبات ؛ كما قيل :
(١٧٤) الآية (١٩٦) من سورة الاعراف .

من أشد العقوبات طلب مالا يقسم ، وإن كانت مقسومة فلاشتغال بها شره وحرص وشرك من باب العبودية والمحبة الحقيقية ، لأن الاشتغال بغير الله عز وجل شرك ، وطالب الحظ ليس بصادق في محبته وولايته فمن احتاج مع الله غيره فهو كذاب وطالب العوض على عمله غير مخلص ، وإنما المخلص من عبد الله ليعطي الربوبية حقها وتعبد له للملكية والحقيقة ، لأن الحق عز وجل يملكه ويستحق عليه العمل والطاعة له بحركاته وسكناته وسائر أكسابه ، والعبد وما في يده ملك لمولاه ؛ كيف وقد بينا في غير موضع أن العبادات بأسرها نعمة من الله وفضل منه على عبده إذ وفقه لها وأقدره عليها ، فلاشتغال بالشكر لربه خير وأولى من طلبه من الأعواض أو الجزاء عليها ، ثم كيف تشتغل بطلب الحظوظ وقد ترى خلقاً كثيراً كلما كثرت الحظوظ عندهم وتواترت وتتابع اللذات والنعم والأقسام إليهم زاد سخطهم على ربهم وتضجرهم وكفرهم بالنعمة وكثرة همومهم وغمومهم وفقرهم إلى أقسام لم تقسم غير ما عندهم وحقرت وصغرت وقبحت أقسامهم عندهم وعظمت وكبرت وحسنت أقسام غيرهم في قلوبهم وأعينهم فشرعوا في طلبها ، فذهبت أعمارهم وانحلت قواهم ، وكبرت سنهم وشتت أحوالهم وتعبت أجسادهم وعرقت جباههم وسودت صحائفهم بكثرة آثامهم وارتكاب عظام الذنوب في طلبها وترك أوامر ربهم ، فلم ينالوها وخرجوا من الدنيا مفاليس لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، لا شكروا ربهم فيما قسم لهم من أقسامهم فاستعانوا على طاعته ؛ وما نالوا بها على طاعته ؛ وما نالوا ما طلبوا من أقسام غيرهم ، بل ضيعوا دنياهم وآخرتهم ، فهم أشر الخليقة وأجهلهم وأحمقهم وأخسهم عقولاً وبصيرة ؛ فلو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء وأحسنوا طاعة المولى لأنتهم أقسامهم من الدنيا من غير تعب ولا عناء ، ثم نقلوا إلى جوار العلى الأعلى فوجدوا عنده كل مراد ومنى ، جعلنا الله وإياكم ممن رضي بالقضاء ، وجعل سؤاله ذلك والفناء وحفظ الحال والتوفيق بما يحبه ويرضى .

المقالة الرابعة والخمسون فيمن أراد الوصول إلى الله تعالى وبيان كيفية الوصول إليه تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا، ومن أراد الله فعليه بالزهد في الآخرة؛ فيترك دنياه لآخرته وآخرفته لربه؛ فما دام في قلبه شهوة من شهوات الدنيا ولذة من لذاتها وطلب راحة من راحتها من سائر الأشياء من مأكول أو مشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب، وولاية ورياسة وطبقة في علم من فنون العلم من الفقه فوق العبادات الخمس، ورواية الحديث وقراءة القرآن بروايته، والنحو واللغة والفصاحة والبلاغة، وزوال الفقر ووجود الغنى وذهاب البلية ومجيء العافية، وفي الجملة انكشاف الضر ومجيء النفع فليس بزاهد حقاً لأن كل واحد من هذه الأشياء فيه لذة النفس، موافقة الهوى وراحة الطبع وحب له، وكل ذلك من الدنيا ومما يحب البقاء فيها ويحصل السكون والطمأنينة إليها، فينبغي أن يجاهد في إخراج جميع ذلك عن القلب، ويأخذ نفسه بإزالة ذلك وقلعه والرضا بالعدم والإفلاس والفقر الدائم، فلا يبقى من ذلك مقدار مص نواة ليخلص زهده في الدنيا، فإذا تم له ذلك زالت الغموم والأحزان من القلب والكرب عن الحشا، وجاءت الراحة والطيب والأنس بالله كما قال ﷺ: «الزاهد في الدنيا يريح القلب والجسد»^(١٧٥) فما دام في قلبه شيء من ذلك فلههموم والخوف والوجل قائم في القلب والخذلان لازم له، والحجاب عن الله عز وجل وعن قربه متكاثف متراكم فلا ينكشف جميع ذلك إلا بزوال حب الدنيا على الكمال وقطع العلائق بآثرها، ثم يزهد في الآخرة، فلا يطلب الدرجات والمنازل العاليات الحور والولدان

(١٧٥) للحديث تنمة «الزهد، في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن والبطالة تقسي القلب» رواه القضاعي عن ابن عمر، وورد بألفاظ أخر.

والقصور والبساتين والمراكب، والخيول والحلي والمآكل والمشارب وغير ذلك مما أعده تعالى لعباده المؤمنين، فلا يطلب على عمله جزاء أو أجراً من الله عز وجل البتة ولا دنيا ولا أخرى، فحينئذ يجد الله عز وجل فيؤتيه حسابه تفضلاً منه ورحمة، فيقر به منه ويدنيه ويلطف به ويتعرف إليه بأنواع الطافه وبره كما هو دأبه عز وجل مع رسله وأنبيائه وأوليائه وخواصه وأحبابه أولى العلم به عز وجل فيكون العبد كل يوم في مزيد أمره مدة حياته، ثم ينقل إلى دار الآخرة إلى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مما تضيق عنه الأفهام وتعجز عن وصفه العبارات، والله أعلم،

المقالة الخامسة والخمسون في ترك الحظوظ

قال رضي الله عنه وأرضاه: ترك الحظوظ ثلاث مرات :
الأولى يكون العبد ماراً في عشواه متخبطاً فيه منصرفاً بطبعه في جميع أحواله من غير تعبد لربه ولازم في الشرع يرده ولا جده من حدود ينتهي إليه عن حكمه، فبينما هو على ذلك ينظر الله إليه يعني يرحمه، فيبعث الله إليه واعظاً من خلقه من عباده الصالحين فينبهه، ويثنيه بواعظ من نفسه، فيتضافر الواعظان على نفسه وطبعه، فتعمل الموعظة عملها، فتبين عندها عيب ما هي فيه من ركوب مطية الطبع والمخالفة^(١٧٦)، فتميل إلى الشرع في جميع تصرفاتها فيصير العبد مسلماً قائماً مع الشرع فانياً عن الطبع، فيترك حرام الدنيا وشبهاتها ومن الخلق، فيأخذ مباح الحق عز وجل وحلال الشرع في مأكله ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وجميع ما لا بد منه، لتحفظ البنية ويتقوى على طاعة الرب عز وجل، وليستوفي قسمه المقسوم له الذي لا يتجاوزه

(١٧٦) في النسخة الثانية المخافة .

ولاسبيل إلى الخروج من الدنيا قبل تناوله والتلبس به واستيفائه فيسير على مطية المباح والحلال بالشرع في جميع أحواله إلى أن تنتهي به هذه المطية إلى عتبة الولاية والدخول في زمرة المحققين والخواص أهل العزيمة مريدي الحق، فيأكل بالأمر، فحينئذ يسمع نداء من قبل الحق عز وجل من باطنه: اترك نفسك وتعال، اترك الحظوظ والخلق إن أردت الخالق، واخلع نعليك؛ دنياك وآخرتك، وتجرد عن الأكوان والموجودات وماسيوجد والأمانى بأسرها، وتعر عن الجميع وافن عن الكل وتطيب بالتوحيد واترك الشرك وصدق الإرادة، ثم ادخل وطء البساط بالأدب مطرقاً، لا تنظر يميناً إلى الآخرة وشمالاً إلى الدنيا ولا إلى الخلق ولا إلى الحظوظ، فإذا دخل في هذا المقام، وتحقق الوصول جاءت الخلعة من قبل الحق عز وجل، وغشيتة أنواع المعارف والعلوم وأنواع الفضل، فيقال له، تلبس بالنعم والفضل ولا تسيء الأدب بالرد وترك التلبس، لأن رد نعم الملك افتئاتاً على الملك واستخفافاً بحضرته، وحينئذ يتلبس بالفضل والقسمة بالله من غير أن يكون هو فيه ومن قبل كأن يتلبس بهواه ونفسه فله أربع حالات في تناول الحظوظ والأقسام .

الأولى بالطبع وهو الحرام . والثانية بالشرع وهو المباح والحلال . والثالثة بالأمر وهي حالة الولاية وترك الهوى . والرابعة بالفضل وهي حالة زوال الإرادة وحصول البدلية وكونه مراداً قائماً مع القدر الذي هو فعل الحق وهي حالة العلم والأنصاف بالصلاح، فلا يسمى صالحاً على الحقيقة إلا وصل إلى هذا المقام، هو قوله تعالى: (إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)^(١٧٧) فهو العبد الذي كفت يده عن جلب مصالحه ومنافعه وعن رد مضاره ومفسده، كالرضيع مع الظئر؛ والميت الغسيل مع الغاسل، فتتولى يد القدر تربيته من غير أن يكون له اختيار وتدبير، فإن عن جميع ذلك لاحقاً ولا مقاماً ولا إرادة، بل القيام

(١٧٧) الآية (١٩٦) من سورة الاعراف.

مع القدرة ، تارة يبسط^(١٧٨) وتارة يقبض وتارة يغنى وتارة يفقر ، ولا يختار ولا يتمنى زوال ذلك وتغييره ، بل الرضى الدائم والموافقة الأبدية ، فهو آخر ما تنتهي إليه أحوال الأولياء قدست أسرارهم .

المقالة السادسة والخمسون في فناء العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأمانى

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا فنى العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأمانى دنيا وأخرى ولم يرد إلا الله عز وجل وخرج الكل عن قلبه وصل إلى الحق ، واصطفاه واجتبه ، وأحبه وحبه إلى خلقه ، وجعله يحبه ويحب قربه ، ويتنعم بفضله ويتقلب في نعمه وفتح عليه أبواب رحمته ، ووعدته أن لا يغلقها عنه أبداً ، فيختار العبد حينئذ الله ، ويدبر بتدبيره ويشاء بمشيئته ، ويرضى برضاه ويمثل أمره دون غيره ، ولا يرى لغيره عز وجل وجوداً ولا فعلاً ، فحينئذ يجوز أن يعده الله بوعده ثم لا يظهر للعبد وفاء بذلك ، ولا يغير ما قد توهمه من ذلك ، لأن الغيرية قد زالت بزوال الهوى والإرادة فصار في فعل الله عز وجل وإرادته فيصير الوعد حينئذ في حقه مع الله عز وجل كرجل عزم على فعل شيء في نفسه ونواه ثم صرفه إلى غيره كالناسخ والمنسوخ فيما أوحى الله عز وجل إلى نبينا محمد ﷺ قوله عز وجل : (مانسوخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)^(١٧٩) لما كان النبي ﷺ منزوع الهوى والإرادة سوى المواضع التي ذكرها الله عز وجل في القرآن من الأسر يوم بدر (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة - ٥ - لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)^(١٨٠) كذا قالوا ، وغيره وهو

(١٧٨) في النسخة الثانية تارة يبسط وتارة يغنى .

(١٧٩) الآية (١٠٦) من سورة البقرة .

(١٨٠) الآية (٦٧) من سورة الانفال .

مراد الحق عز وجل لم يترك على حالة واحدة بل نقله إلى القدر إليه فصرفه في القدر وقلبه منها، نبهه بقوله تعالى: (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)^(١٨١) يعني أنك في بحر القدر تقلبك أمواجه تارة كذا وتارة كذا، فمتمتهى أمر الولي ابتداء أمر النبي مابعد الولاية والبدلية إلا النبوة، والله أعلم .

المقالة السابعة والخمسون في عدم المنازعة في القدر والأمر بحفظ الرضا به

قال رضي الله عنه وأرضاه: الأحوال قبض كلها؛ لأنه يؤمر الولي بحفظها وكل ما يؤمر بحفظه فهو قبض، والقيام مع القدر بسط كله، لأنه ليس هناك شيء يؤمر بحفظه سوى كونه موجوداً في القدر، فعليه أن لا ينازع في القدر بل يوافق ولا ينازع في جميع ما يجري عليه مما يحلو ويمر، الأحوال معدودة فأمر بحفظ حدودها، والفضل الذي هو القدر غير محدود فيحفظ .

وعلازمة أن العبد دخل مقام القدر والفعل والبسط أنه يؤمر بالسؤال في الحظوظ بعد أن أمر بتركها والزهد فيها، لأنه لما خلا باطنه من الحظوظ ولم يبق فيه غير الرب عز وجل بوسط فأمر بالسؤال والتشهي وطلب الأشياء التي هي قسمه، ولا بد من تناولها والتوصل إليه بسؤاله، ليتحقق كرامته عند الله عز وجل ومنزلته، وامتنان الحق عز وجل عليه بإجابته إلى ذلك، والإطلاق بالسؤال في عطاء الحظوظ من أكثر علامات البسط بعد القبض، والاخراج من الأحوال والمقامات والتكليف في حفظ الحدود .

(١٨١) الآية (١٠٦) من سورة البقرة .

فإن قيل : هذا يدل على زوال التكليف والقول بالزندقة والخروج من الإسلام ، ورد قوله عز وجل : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)^(١٨٢) قيل لا يدل على ذلك ولا يؤدي إليه بل الله أكرم ووليه أعز عليه من أن يدخله في مقام النقص والقيح في شرعه ودينه ، بل يعصمه من جميع ما ذكر ويصرفه عنه ويحفظه وينبئه ويسدده لحفظ الحدود ، فتحصل العصمة وتتحفظ الحدود من غير تكليف منه ومشقة ، وهو عن ذلك في غيبة في القرب . قال عز وجل : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)^(١٨٣) وقال عز وجل : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)^(١٨٤) وقال تعالى : (إلا عباد الله المخلصين)^(١٨٥) يامسكين هو محمول الرب وهو مراده ، وهو يربيه في حجر قرب له ولطفه ، أنى يصل الشيطان إليه وتتطرق القبائح والمكاره في الشرع نحوه ؟ أبعدت النجعة وأعظمت الفرية وقلت قولاً فظيعاً ، تباً لهذه الهمم الخسيسة الدنية والعقول الناقصة البعيدة والآراء الفاسدة المتخلخلة ، أعاذنا الله والإخوان من الضلالة المختلفة بقدرته الشاملة ورحمته الواسعة ، وسترنا بأستاره التامة المانعة الحامية ، وربانا بنعمه السابغة وفضائله الدائمة بمنه وكرمه تعالى شأنه .

المقالة الثامنة والخمسون في صرف النظر عن كل الجهات وطلب جهة فضل الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه : تقام عن الجهات كلها ولا تبصص على شيء منها ، فما دمت تنظر إلى واحدة منها لا يفتح لك جهة فضل الله

(١٨٢) الآية (٩٩) من سورة الحجر .

(١٨٣) الآية (٢٤) من سورة يوسف .

(١٨٤) الآية (٤٢) من سورة الحجر .

(١٨٥) الآية (٤٠) من سورة الصافات .

عز وجل وقربه ، فسد الجهات جميعاً بتوحيده وأحياء نفسك ثم فنائك ومحوك وعلمك ، فحينئذ يفتح عين قلبك جهة فضل الله العظيم ، فتراها بعيني رأسك إذ ذاك شعاع نور قلبك وإيمانك ويقينك فيظهر عند ذلك النور من باطنك على ظاهرك كنور الشمعة التي في البيت المظلم في الليلة الظلماء ، يظهر من كوى البيت ومنافذه فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه ، فتسكن النفس والجوارح إلى وعد الله وعطائه عن عطاء غيره ووعد غيره عز وجل .

وارحم نفسك ولا تظلمها ولا تلقها في ظلمات جهلك ورعونتك ، فتنظر إلى الجهات وإلى الخلق والحوال والقوه والكسب والأسباب فتوكل إليها ، فتسد عنك الجهات ولم تفتح لك جهة فضل الله عز وجل عقوبة ومقابلة لشركك بالنظر إلى غيره عز وجل ، فإذا وجدته ونظرت إلى فضله ورجوته دون غيره وتعاميت عما سواه ، قربك وأدناك ؛ ورحمك ورباك وأطعمك وسقاك ؛ وداواك وعافاك ؛ وأعطاك وأغناك ، فلا ترى بعد ذلك لافقرك ولاغناك .

المقالة التاسعة والخمسون

في الرضا على البلية ، والشكر على النعمة

قال رضي الله عنه وأرضاه : لا تخلو حالتك إما أن تكون بلية أو نعمة ، فإن كانت بلية فتطالب فيها بالتصبر ، وهو الأدنى ، والصبر وهو أعلى منه ، ثم الرضا والموافقة ، ثم الفناء ، وهو للأبدال ؛ وإن كانت نعمة فتطالب فيها بالشكر عليها . والشكر باللسان والقلب والجوارح .

أما باللسان فالإعتراف بالنعمة أنها من الله عز وجل ، وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أيديهم ، لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها ،

وإن قاسمها ومجريها وموجدها والشاغل فيها والمسبب لها هو الله عز وجل والقاسم هو الله ، والمجري هو والموجد هو ، فهو أحق بالشكر من غيره .

لأنظر إلى الغلام الحمال للهدية إنما النظر إلى الأستاذ المنفذ المنعم بها قال الله تعالى في حق من عدم هذا المنظر (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)^(١٨٦) فمن نظر إلى الظاهر والسبب ولم يجاوز علمه ومعرفته فهو الجاهل الناقص قاصر العقل ، إنما سمي العاقل عاقلاً لنظره في العواقب .

وأما الشكر بالقلب ، فبالاعتقاد الدائم ، والعقد الوثيق الشديد المنبرم .

إن جميع ما بك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره ، ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قلبك . وقد قال عز وجل : (وما بكم من نعمة فمن الله)^(١٨٧) وقال تعالى : (وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة)^(١٨٨) وقال تعالى : (وإن تعدوا نعمة الله عليكم لاتحصوها)^(١٨٩) فمع هذا لا يبقى لمؤمن منعم سوى الله تعالى .

وأما الشكر بالجوارح فبأن تحركها وتستعملها في طاعة الله عز وجل دون غيره من الخلق ، فلا تجيب أحداً من الخلق ، فيما فيه إعراض عن الله تعالى ، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأمانى وسائر الخليقة ، كجعل طاعة الله أصلاً ومتبوعاً وإماماً وما سواها فرعاً وتابِعاً ومأموناً ، فإن فعلت غير ذلك كنت جائراً ظالماً حاكماً بغير حكم الله عز وجل الموضوع لعبادة المؤمنين ، وسالكاً غير سبيل الصالحين ، قال الله

(١٨٦) الآية (٧) من سورة الروم .

(١٨٧) الآية (٥٣) من سورة النحل .

(١٨٨) الآية (٢٠) من سورة لقمان .

(١٨٩) الآية (١٨) من سورة النحل .

عز وجل : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)^(١٩٠) وفي آية أخرى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)^(١٩١) وفي أخرى (هم الفاسقون)^(١٩٢) فيكون انتهاؤك إلى النار التي وقودها الناس والحجارة، وأنت لاتصبر على حمى ساعة في الدنيا وأقل بسطة وشرارة من النار فيها، فكيف صبرك على الخلود في الهاوية مع أهلها. النجا النجا ، والوفا الوفا، الله الله ، احفظ الحالتين وشروطهما، فإنك لاتخلو في جميع عمرك من أحديهما إما البلية وإما النعمة فأعط كل حالة حظها وحقها من الصبر والشكر على ما بينت لك، فلا تشكون في حالة البلية إلى أحد من خلق الله، ولا تظهرن الضجر لأحد ولا تتهمن ربك في باطنك .

ولا تشكن في حكمته وإختر الأصلح لك في دنياك، وآخرتك، فلا تذهبن بهمتك إلى أحد من خلقه في معافاتك فذاك إشراك منك به عز وجل ، لا يملك معه عز وجل في ملكه أحد شيئاً لاضرار ولا نافع ولا دافع ، ولا جالب ولا مسقم ولا مبلي ، ولا معاف ولا مبرىء غيره عز وجل ، فلا تشتغل بالخلق لافي الظاهر ولا في الباطن ، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، بل الزم الصبر والرضا والموافقة والفناء في فعله عز وجل ، فإن حرمت ذلك كله فعليك بالاستغاثة إليه عز وجل . والتضرع والتظلم من شؤم النفس ، ونزاهة الحق عز وجل والإعتراف له بالتوحيد بالنعيم ، والتبري من الشرك ، وطلب الصبر والرضا والموافقة ، إلى حين يبلغ الكتاب أجله ، فتزول البلية وتنكشف الكربة ، وتأتي النعمة والسعة والفرحة والسرور ، كما كان في حق نبي الله أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأشرف السلام ، كما يذهب سواد الليل ويأتي بياض النهار ، ويذهب برد الشتاء ويأتي نسيم الصيف وطيبه ، لأن لكل شيء

(١٩٠) الآية (٤٤) من سورة المائدة.

(١٩١) الآية (٤٥) من سورة المائدة.

(١٩٢) الآية (٤٧) من سورة المائدة.

ضداً وخلافاً وغاية وبدءاً ومنتهى ، فالصبر مفتاحه وابتدأؤه وانتهاءؤه
وجماله كما جاء في الخبر «الصبر من الإيثار كالرأس من الجسد»^(١٩٣) وفي
لفظ «الصبر الإيثار كله»^(١٩٤) وقد يكون الشكر هو التلبس بالنعم وهي
أقسامه المقسومة لك ، فشكر التلبس بها في حال فنائك ، وزوال الهوى
والحمية والحفظ ، هذه حالة الأبدال وهي المنتهى ، اعتبر ما ذكرت لك
ترشد إن شاء الله تعالى .

المقالة الستون

في البداية والنهاية

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : البداية هي الخروج من المعهود إلى
المشروع ثم المقدور ، ثم الرجوع إلى المعهود ، ويشترط حفظ الحدود ،
فتخرج من معهودك من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمسكون
والطبع والعادة إلى أمر الشرع ونهيه ، فتتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ
كما قال الله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)^(١٩٥)
وقال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحكم الله)^(١٩٦) فتفنى عن
هواك ونفسك ورعونتها في ظاهرك وباطنك ، فلا يكون في باطنك غير
توحيدك له وفي ظاهرك غير طاعة الله وعبادته مما أمر ونهى ، فيكون هذا
دأبك وشعارك ودثارك في حركتك وسكونك ، في ليلك ونهارك ، وسفرك
وحضرك ، وشدتك ورخائك ، وصحتك وسقمك ، وأحوالك كلها ، ثم

(١٩٣) ورد بلفظ الصبر من الإيثار بمنزلة الرأس من الجسد .

والحديث عن أنس عن علي موقوفاً .

(١٩٤) ورد بلفظ : الصبر نصف الإيثار واليقين الإيثار كله .

رواه ابن مسعود .

(١٩٥) الآية (٧) من سورة الحشر .

(١٩٦) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

تحمّل إلى وادي القدر فينصرف فيك القدر، فتفنى عن جدك واجتهادك وحولك وقوتك، فتساق إليك الأقسام التي جف بها القلم وسبق بها العلم، فتلبس بها وتعطى منها الحفظ والسلامة فتحفظ فيها الحدود ويحصل فيها الموافقة لفعل المولى، ولا تتخرق قاعدة الشرع إلى الزندقة وإباحة المحرم قال الله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)^(١٩٧) وقال تعالى: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)^(١٩٨) فتصحب الحفظ والحمية وانما هي أقسامك معدة لك، فحبسها عنك في حال سيرك وطريقك وسلوكك فيافي الطبع ومفاوز الهوى المعهود، لأنها أثقال أحمال مازيحت عنك؛ لئلا يثقلك فتضعفك إلى حين الوصول إلى عتبة الفناء، وهو الوصول إلى قرب الحق عز وجل والمعرفة به، والاختصاص بالأسرار والعلوم الدينية، والدخول في بحار الأنوار، حيث لا تضر ظلمة الطبائع الأنوار، فالطبع باق إلى أن تفارق الروح الجسد لاستيفاء الأقسام، إذ لو زال الطبع من الآدمي لالتحق بالملائكة وبطلت الحكمة، فبقي الطبع يستوفي الأقسام والحظوظ، فيكون ذلك وظائفاً لأصلياً كما قال النبي ﷺ: «حب إلى من ديناكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة»^(١٩٩) فلما فنى النبي ﷺ عن الدنيا وما فيها ردت إليه أقسامه المحبوسة عنه في حال سيره إلى ربه عز وجل، فاستوفاهها موافقة لربه تعالى والرضا بفعله ممثلاً للأمير، فقدست أسماؤه وعمت رحمته. شمل فضله لأوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فهكذا الولي في هذا الباب ترد إليه أقسامه وحظوظه مع حفظ الحدود، فهو الرجوع من النهاية، إلى البداية، والله أعلم.

(١٩٧) الآية (٩) من سورة الحجر.

(١٩٨) الآية (٢٤) من سورة يوسف.

(١٩٩) رواه الطبراني في الاوسط والصغير عن أنس رفعه ورواه النسائي عن أنس بلفظ الترجمة ورواه الحاكم بدون وجعلت وقال صحيح على شرط مسلم.

المقالة الحادية والستون

في التوقف عند كل شيء حتى يتبين له إباحة فعله

قال رضي الله عنه وأرضاه: كل مؤمن مكلف بالتوقف والتفتيش عند حضور الأقسام عن تناول والأخذ، حتى يشهد له الحكم بالإجابة، والعلم بالقسمة، والمؤمن فتاش والمنافق لقاف. وقال ﷺ: «المؤمن وقاف»^(٢٠٠) وقال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(٢٠١) فالمؤمن يقف عند كل قسم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح وسائر الأشياء التي تفتح له فلا يأخذ حتى يحكم له بجواز الأخذ والتناول كحكمه إذا كان في حالة التقوى. أو حتى يحكم له بذلك الأمر إذا كان في حالة الولاية، أو حتى يحكم بحكم العلم في حالة البدلية والغوئية، والفعل الذي هو القدر المحض وهي حالة الفناء، ثم تأتية حالة أخرى تتناول كل ما يأتيه ويفتح له ما لم يعترض عليه الحكم والأمر والعلم، فإذا اعترض أحد هذه الأشياء امتنع من تناول، فهي ضد الأولى.

ففي الأولى الغالب عليه التوقف والتثبت، وفي الثانية الغالب عليه تناول والأخذ والتلبس بالفتوح، ثم تأتي الحالة الثالثة.

فالتناول المحض والتلبس بما يفتح من النعم من غير اعتراض أحد الأشياء الثلاثة وهي حقيقة الفناء، فيكون المؤمن فيها محفوظاً من الآفات وخرق حدود الشرع مصاناً مصروفاً عنه الأسواء، كما قال الله تعالى: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا

(٢٠٠) لفظ الحديث: المؤمن كيس فطن حذر وقاف لا يعجل رواه الديلمي والقضاعي عن أنس رفعه وهو ضعيف.

(٢٠١) رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

المخلصين)^(٢٠٢) فيصير العبد مع الحفظ عن خرق الحدود كالمفوض إليه المأذون له والمطلق له في الإباحات الميسر له الخير، ما يأتيه قسمه المصفي له من الآفات والتبعات في الدنيا والآخرة، والموافق لإرادة الحق ورضاه وفعله ولا حالة فوقها وهي الغاية، وهي السادة الأولياء الكبار الخالص أصحاب الأسرار، الذين أشرفوا على عتبة أحوال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

المقالة الثانية والستون

في المحبة والمحجوب وما يجب في حقها

قال رضي الله عنه وأرضاه: ما أكثر ما يقول المؤمن قرب فلان وبعدت، وأعطى فلان وحرمت، وأغنى فلان وأفقرت وعوفي فلان وأسقمت، وعظم فلان وحقرت، وحمد فلان وذمت؛ وصدق فلان وكذبت. أما يعلم أنه الواحد، وأن الواحد يحب الوجدانية في المحبة، ويحب الواحد في محبته .

إذا قربك بطريق غيره نقصت محبتك له عز وجل وشعبت فربما دخلك الميل إلى من ظهرت المواصله والنعمة على يديه، فتنقص محبة الله في قلبك، وهو عز وجل غيور لا يحب شريكاً فكف أيدي الغير عنك بالمواصله ولسانه عن حمدك وثنائك ورجليه عن السعي إليك كيلا تشتغل به عنه، أما سمعت قول النبي ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها»^(٢٠٣) فهو عز وجل يكف الخلق عن الإحسان إليك من كل وجه وسبب حتى توحده وتجبه، وتصير له من كل وجه بظاهرك

(٢٠٢) الآية (٢٤) من سورة يوسف.

(٢٠٣) الحديث له تتمه: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

ابن مسعود وصحيح .

وباطنك في حركاتك وسكناتك ، فلا ترى الخير إلا منه ولا الشر إلا منه عز وجل . وتفنى عن الخلق وعن النفس ، وعن الهوى والإرادة والمنى ، وعن جميع ماسوى المولى ، ثم يطلق الأيدي إليك بالبسط والبذل والعطاء ، والألسن بالحمد والثناء فيدلك أبدأ في الدنيا ثم في العقبى ، فلا تسيء الأدب ، انظر إلى من ينظر إليك ، وأقبل على من أقبل إليك ، وأحب من يحبك واستجب من يدعوك وأعط يدك من يثبته من سقطك ويخرجك من ظلمات جهلك ، وينجيك من هلكك ويغسلك من أنجاسك ، وينظفك من أوساخك ، ويخلصك من جيفك وتنك ، ومن أوهامك الردية ، ومن نفسك الأمانة بالسوء وأقرانك الضلال المضلين شياطينك ، وأخلائك الجهال قطاع طريق الحق الحائلين بينك وبين كل نفيس وقيم وعزيز .

إلى متى المعاد ، إلى متى الحق ، إلى متى الهوى ، إلى متى الرعونة إلى متى الدنيا ، إلى متى الآخرة ، إلى متى سوى المولى ؟ أين أنت من خالقك والأشياء ، المكون الأول الآخر الظاهر الباطن ، والمرجع والمصدر إليه ، وله القلوب وطمأنينة الأرواح ومحط الأثقال والعطاء والامتنان ، عز شأنه .

المقالة الثالثة والستون

في نوع من المعرفة

قال الله تعالى عنه وأرضاه : رأيت في المنام كأي أقول يامشرك بربه في باطنه بنفسه وفي ظاهره بخلقه وفي عمله بإرادته ، فقال رجل إلى جنبي ما هذا الكلام ؟ فقلت هذا نوع من المعرفة .

المقالة الرابعة والستون

في الموت الذي لاحياة فيه ، والحياة التي لاموت فيها

قال رضي الله عنه وأرضاه : ضاق بي الأمر يوماً فتحرك في النفس ، فقليل لي : ماذا تريد؟ فقلت أريد موتاً لاحياة فيه وحياة لاموت فيها؟ فقليل لي : مالموت الذي لاحياة فيه وما الحياة التي لاموت فيها؟ قلت الموت الذي لاحياة فيه موتي عن جنسي من الخلق فلا أراهم في الضر والنفع ، وموتي عن نفسي وهوائي وإرادتي ومنائي في الدنيا والأخرى فلا أحسن في جميع ذلك ولا أجد .

وأما الحياة التي لاموت فيها : فحياتي بفعل ربي عز وجل بلا وجودي فيه ، والموت في ذلك وجودي معه عز وجل ، فكانت هذه الإرادة أنفـس إرادة أردتها منذ عقلت .

المقالة الخامسة والستون

في النهي عن التسخط على الله في تأخير إجابة الدعاء

قال رضي الله عنه وأرضاه : ما هذا التسخط على ربك عز وجل من تأخير إجابة الدعاء؟ تقول حرم علي السؤال للخلق ووجب علي السؤال وأنا أدعوه وهو لا يجيبني^(٢٠٤) فيقال لك أحر أنت أم عبد ، فإن قلت أنا حر فأنت كافر وإن قلت أنا عبد لله ، فيقال لك أمتهم أنت لوليك في تأخير إجابة دعائك وشاك في حكمته ورحمته بك بجميع خلقه

(٢٠٤) في الحديث عن رسول الله ﷺ : مامن عبد يرفع يديه حتى يبدو إبطه يسأل الله مسألة إلا أتاه الله إياها مالم يعجل . قالوا : يارسول الله كيف عجلته؟ قال : يقول قد سألت وسألت فلم أعط شيئاً .

وعلمه بأحوالهم أو غير متهم له عز وجل؟ فإن كنت غير متهم له ومقر بحكمته وإرادة ومصلحته لك وتأخير ذلك فعليك بالشكر له عز وجل، لأنه اختار لك الأصلح والنعمة ودفع الفساد، وإن كنت متهمًا له في ذلك فأنت كافر بتهمك له، لأنك بذلك نسبت له الظلم وهو ليس بظلام للعبيد، لا يقبل الظلم ويستحيل عليه أن يظلم إذ هو مالكك ومالك كل شيء، فلا يطلق عليه اسم الظلم، وإنما الظالم من يتصرف في ملك غيره بغير إذنه فانسد عليك سبيل التسخط عليه في فعله فيك بما يخالف طبعك وشهوة نفسك وإن كان في الظاهر مفسدة لك.

فعليك بالشكر والصبر والموافقة، وترك التسخط والتهمة والقيام مع رعونة النفس وهواها الذي يضل عن سبيل الله.

وعليك بدوام الدعاء وصدق الالتجاء، وحسن الظن بربك عز وجل، وانتظار الفرج منه، والتصديق بوعدده، والحياء منه، والموافقة لأمره، وحفظ توحيدده والمسارة إلى أداء أوامره، والتماوت عن نزول قدره بك وبفعله فيك، وإن كان لابد أن تتهم وتسيء الظن بنفسك الأمانة بالسوء العاصية لربها عز وجل أولى بهما، ونسبتك الظلم إليها أخرى من مولاك. فاحذر موافقتها ومولاتها، والرضى بفعلها وكلامها في الأحوال كلها، لأنها عدوة الله وعدوتك، ومواليه لعدو الله وعدوك الشيطان الرجيم، هي خليلته وجاسوسته ومصافيته، الله الله ثم الله، الحذر الحذر، النجا النجا، اتهمها وانسب الظلم إليها وقرأ عليها قوله عز وجل: (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم)^(٢٠٥) وقوله عز وجل: (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)^(٢٠٦) وغيرها من الآيات والأخبار.

(٢٠٥) الآية (١٤٧) من سورة النساء

(٢٠٦) الآية (٤٤) من سورة يونس.

كن مخلصاً لله على نفسك مجادلاً لها عنه عز وجل ، ومحارباً وسيافاً
وصاحب جنده وعسكره ، فإنها أعدى عدو الله عز وجل ، قال الله
تعالى : (ياداد أهبجر هواك فإنه لامنازع ينازعني في ملكي غير
الهوى) ^(٢٠٧) .

المقالة السادسة والستون

في الأمر بالدعاء ، والنهي عن تركه

قال رضي الله عنه وأرضاه : لا تقل لأدعو الله ، فإن كان ما سأله
مقسوماً فسيأتي إن سألته أم لم أسأله ، وإن كان غير مقسوم فلا يعطيني
بسؤال ، بل أسأله عز وجل جميع ما تريد وتحتاج إليه من خير الدنيا
والآخرة ما لم يكن فيه محرم ومفسدة لأن الله تعالى أمر بالسؤال له وحث
عليه :

قال تعالى : (ادعوني أستجب لكم) ^(٢٠٨) وقال عز وجل :
(واسألوا الله من فضله - ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض) ^(٢٠٩) قال النبي ﷺ : «اسألوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» ^(٢١٠)
وقال ﷺ : «اسألوا الله بيطون أكفكم» ^(٢١١) وغير ذلك من الأخبار ،
ولا تقل إنني أسأله فلا يعطيني فإذا لا أسأله ، بل دم على دعائه ، فإن كان
ذلك مقسوماً ساقه إليك بعد أن تسأله ، فيزيد ذلك إيماناً و يقيناً
وتوحيداً ، وترك سؤال الخلق والرجوع إليه في جميع أحوالك وإنزال
حوائجك به عز وجل ، وإن لم يكن مقسوماً لك أعطاك الغناء عنه

(٢٠٧) ذكر في الزبور صحف داود عليه السلام فيها ورد في الاسرائيليات .

(٢٠٨) الآية (٦٠) من سورة غافر .

(٢٠٩) الآية (٣٢) من سورة النساء .

(٢١٠) رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه . بلفظ «ادعوا» .

(٢١١) سلوا الله بيطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها عن أبي بكر .

والرضاء عنه عز وجل بالقصص ، فإن كان فقراً أو مرضاً أرضاك بها وإن كان ديناً قلب الدائن من سوء المطالبة إلى الرفق والتأخر والتسهيل إلى حين ميسرتك أو إسقاطه عنك أو نقصه ، فإن لم يسقط ولم يترك منه في الدنيا أعطاك عز وجل ثواباً جزيلاً ما لم يعطك بسؤلك في الدنيا لأنه كريم غني رحيم فلا يخيب سائله في الدنيا والآخرة فلا بد من فائدة ، ونائلة إما عاجلاً وإما أجلاً ، فقد جاء في الحديث : «المؤمن يرى في صحيفته يوم القيامة حسنات لم يعملها ولم يدر بها فيقال له أتعرفها؟ فيقول ما أعرفها من أين لي هذه؟ فيقال له إنها بدل مسألتك التي سألتها في دار الدنيا»^(٢١٢) وذلك أنه بسؤال الله عز وجل يكون ذاكراً لله وموحداً وواضع الشيء في موضعه ، ومعطي الحق أهله ، ومتبرئاً من حوله وقوته ، وتاركاً التكبر والتعظم والأنفة ، وجميع ذلك أعمال صالحة ثوابها عند الله عز وجل .

المقالة السابعة والستون

في جهاد النفس وتفصيل كيفيته

قال رضي الله عنه وأرضاه : كلما جاهدت نفسك وغلبتها وقتلتها بسيف المخالفة أحيها الله ، ونازعتك وطلبت منك الشهوات واللذات الجناح منها والمباح ، لتعود إلى المجاهدة والمسابقة ليكتب لك ثواباً دائماً ، وهو معنى قول النبي ﷺ : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»^(٢١٣) أراد مجاهدة النفس لدوامها واستمرارها على الشهوات واللذات ، وانهاكها في المعاصي ، وهو معنى قوله عز وجل : (واعبد

(٢١٢) يشهد لهذا الحديث حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ممن رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له ، فإما أن يُعجل له في الدنيا ، وإما أن يُدخر له في الآخرة ، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا ، ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ، أو يستعجل ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف يستعجل؟ قال : يقول : دعوت ربي فما استجاب لي . . .
(٢١٣) أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

ربك حتى يأتيتك اليقين)^(٢١٤) أمر الله عز وجل لنبيه ﷺ : بالعبادة وهي مخالفة النفس ، لأن العبادة كلها تأبأها النفس وتريد ضدها إلى أن يأتيه اليقين يعني الموت .

فإن قيل : كيف تأبى نفس رسول ﷺ العبادة وهو عليه الصلاة والسلام لاهوى له : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)^(٢١٥) فيقال إنه عز وجل خاطب نبيه ﷺ ليتقرر به الشرع فيكون عاماً بين أمتة إلى أن تقوم الساعة ، ثم إن الله عز وجل أعطى نبيه عليه الصلاة والسلام القوة على النفس والهوى ، كيلا يضراهم ويحوجاه إلى المجاهدة ، بخلاف أمتة ، فإذا دام المؤمن على هذه المجاهدة إلى أن يأتيه الموت ويلحق بربه عز وجل بسيف مسلول ملطخ بدم النفس والهوى أعطاه ماضمن له من الجنة ، لقوله عز وجل : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)^(٢١٦) فإذا أدخله الجنة وجعلها داره ومقره ومصيره ، أمن من التحويل عنها والانتقال إلى غيرها والعود إلى دار الدنيا جدد له كل يوم وكل ساعة من أنواع النعيم وتغير عليه أنواع الحال والحلي إلى ما لا نهاية له ولا غاية ولا نفاذ ، كما جدد هو في الدنيا كل يوم وكل ساعة ولحظة مجاهدة النفس والهوى .

وأما الكافر والمنافق والعاصي لما تركوا مجاهدة النفس والهوى في الدنيا وتابعوها ، ووافقوا الشيطان تفرجوا في أنواع المعاصي من الكفر والشرك ومادونها حتى أتاهم الموت من غير الإسلام والتوبة ، أدخلهم الله النار التي أعدت للكافرين في قوله عز وجل : (واتقوا النار التي أعدت للكافرين)^(٢١٧) فإذا أدخلهم بها وجعلها مقرهم ومصيرهم وأمهم ، فأحرقت جلودهم ولحومهم جدد لهم عز وجل جلوداً ولحوماً كما

(٢١٤) الآية (٩٩) من سورة الحجر .

(٢١٥) الآية (٣) من سورة النجم .

(٢١٦) الآية (٤٠) من سورة النازعات .

(٢١٧) الآية (١٣١) من سورة آل عمران .

قال عز وجل : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها)^(٢١٨)
يفعل عز وجل بهم ذلك كما وافقوا أنفسهم وأهواءهم في الدنيا في
معاصيه عز وجل ، فأهل النار تجدد لهم كل وقت جلود ولحوم لإيصال
العذاب والآلام إليهم ، وأهل الجنة يجدد لهم كل وقت نعيم لتضاعف
الشهوات واللذات لديهم . وسبب ذلك مجاهدة النفس وعدم موافقتها
في دار الدنيا وهذا معنى قول النبي ﷺ : «الدنيا مزرعة الآخرة»^(٢١٩)

المقالة الثامنة والستون

في قوله تعالى : كل يوم هو في شأن

قال رضي الله عنه وأرضاه : إذا أجاب الله عبداً ما سأله وأعطاه
ما طلبه لم تنخرم إرادته ولا ما جف به القلم وسبق به العلم ، لكنه يوافق
سؤاله مراد ربه عز وجل في وقته ، فتحصل الإجابة وقضاء الحاجة في
الوقت المقدر الذي قدره له في السابقة لبلوغ القدر وقته كما قال : أهل
العلم في قوله عز وجل : (كل يوم هو في شأن)^(٢٢٠) أي يسوق المقادير إلى
المواقيت ، فلا يعطي الله أحداً شيئاً في الدنيا بمجرد دعائه ، وكذلك
لا يصرف عنه شيئاً بدعائه المجرد ، والذي ورد في الحديث : «لا يرد
القضاء إلا الدعاء»^(٢٢١) قيل إن المراد به لا يرد القضاء إلا الدعاء الذي
قضى أن يرد لقضائه ، وكذلك لا يدخل أحد الجنة في الآخرة بعمله ،
بل برحمة الله عز وجل ، لكنه يعطي العباد في الجنة الدرجات على قدر
أعمالهم .

(٢١٨) الآية (٥٦) من سورة النساء .

(٢١٩) ذكره الغزالي في الأحياء وقال القاري قلت معناه صحيح مقتبس من قوله تعالى «من كان يريد حرث الآخرة نزد في حرثه» ورواه في الفردوس بلا سند عن أبي عمر موقوفاً بلفظ الدنيا قنطرة الآخرة ، وذكره الصنعاني باسقاط الآخرة ، فاعبروها ولا تعمروها ورواه الحاكم وصححه .

(٢٢٠) الآية (٢٩) من سورة الرحمن .

(٢٢١) رواه أحمد واسناده حسن .

وقد ورد في حديث عائشة رضي الله عنها: «أنها سألت النبي ﷺ: هل يدخل أحد الجنة بعمله؟ فقال إلا برحمة الله، فقالت ولا أنت؟ فقال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ووضعه يده على هامته»^(٢٢٢) وذلك لأن الله عز وجل لا يحب عليه لأحد حق ولا يلزمه الوفاء بالعهد، بل يفعل ما يريد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ويرحم من يشاء، فعال لما يريد ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، يرزق من يشاء بغير حساب بفضل رحمته ومنته، ويمنع من شاء بعدله. وكيف لا يكون كذلك والخلق من لدن العرش إلى الثرى التي هي الأرض السابعة السفلى ملكه وصنعه، لا مالك لهم غيره ولا صانع لهم غيره، قال عز وجل: (هل من خالق غير الله)^(٢٢٣) وقال تعالى: (أءله مع الله)^(٢٢٤) وقال تعالى: (هل تعلم له سمياً)^(٢٢٥) وقال تعالى: (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب)^(٢٢٦).

المقالة التاسعة والستون

في الأمر بطلب المغفرة والعصمة والتوفيق والرضا والصبر من الله تعالى .

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا تطلبن من الله شيئاً سوى المغفرة للذنوب السابقة والعصمة منها في الأيام الآتية اللاحقة، والتوفيق لحسن

(٢٢٢) رواه الترمذي عن سلمان وقال هذا حسن غريب وله تنمة «ولا يزيد في العمر إلا البر».

(٢٢٣) الآية (٣) من سورة فاطر.

(٢٢٤) الآية (٦٣) من سورة النمل.

(٢٢٥) الآية (٦٥) من سورة مريم.

(٢٢٦) الآية (٢٦ - ٢٧) من سورة آل عمران.

الطاعة، وامتنال الأمر والرضا بمر القضاء، والصبر على شدائد البلاء، والشكر على جزيل النعماء والعطاء، ثم الوفاة بخاتمة الخير، والالحوق بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ولا تطلب منه الدنيا ولا كشف الفقر والبلاء إلى الغناء والعافية، بل الرضا بما قسم ودبر، واسأله الحفظ الدائم على ما أقامك فيه وأحلك وابتلاك، إلى أن ينقلك منه إلى غيره وضده، لأنك لا تعلم الخير في أيهما، في الفقر أو في الغناء، في البلاء أو في العافية، طوى عنك علم الأشياء وتفرد هو عز وجل بمصالحها ومفاسدها.

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا أبالي على أي حال أصبح، على ما أكره أو على ما أحب، لأنني لا أدري الخير في أيهما^(٢٢٧). قال ذلك لحسن رضاه بتدبير الله عز وجل، والطمأنينة على اختياره وقضائه. قال الله تعالى: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)^(٢٢٨).

كن على هذا الحال إلى أن يزول هواك وتنكسر نفسك فتكون ذليلة مغلوبة تابعة ثم تزول إرادتك وأمانيك، وتخرج الأكوام من قلبك ولا يبقى في قلبك شيء سوى الله تعالى، فيمتلئ قلبك بحب الله تعالى، وتصدق إرادتك في طلبه عز وجل فيرد إليك الإرادة بأمره بطلب حظ من الحظوظ دنيوية وأخروية، فحينئذ تسأله عز وجل بذلك وتطلبه ممثلاً لأمره إن أعطاك شكرته وتلبست به، وإن منعك لم تتسخط عليه ولم تتغير عليه في باطنك ولا تتهمه في ذلك ببخل، لأنك لم تكن طلبته بهواك.

(٢٢٧) رضي الله عن عمر ما أعظم إيمانه بالله، وكذلك يقينه بالله ومع ذلك كان لا يفتأ عن الذكر والدعاء فكان همه الوحيد رضوان الله سبحانه وتعالى، وما نقل عنه من آثار دعائه عن سليمان بن حنظلة عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول: اللهم اني أعوذ بك أن تأخذني على غرة، أو تذرني في غفلة، أو تجعلني من الغافلين.

(٢٢٨) الآية (٢١٦) من سورة البقرة.

وإرادتك ، لأنك فارغ القلب عن ذلك غير مرید له ، بل ممثلاً لأمره
بالسؤال والسلام .

المقالة السبعون في الشكر والإعتراف بالتقصير

قال رضي الله عنه وأرضاه : كيف يحسن منك العجب في أعمالك
ورؤية نفسك فيها وطلب الأعواض عليها : وجميع ذلك بتوفيق الله تعالى
وعونه وقوته وإرادته وفضله ، وإن كان ترك معصيته فبعصمته وحفظه
وحميته .

أين أنت من الشكر على ذلك والإعتراف بهذه النعم التي
أولاكها ، ماهذه الرعونة والجهل ، تعجب بشجاعة غيرك وسخائه وبذل
ماله إذا لم تكن قاتلاً بعودك إلا بعد معاونة شجاع ضرب في عدوك ثم
تمنيت قتله ، لولاه كنت مصروراً مكانه وبدله ، ولا باذلاً لبعض مالك
إلا بعد ضمان صادق كريم أمين ضمن لك عوضه وخلقه ، لولا قوله
وطمعتك فيما وعد لك وضمن لك ما بذلت حبة منه ، كيف تعجبك
بمجرد فعلك .

أحسن حالك الشكر والثناء على المعين والحمد لله الدائم وإضافة
ذلك إليه في الأحوال كلها إلا الشر والمعاصي واللوم ، فإنك تتضيفها إلى
نفسك وتنسبها إلى الظلم وسوء الأدب وتتهمها به ، فهي أحق بذلك
لأنها مأوى لكل شر وأمانة بكل سوء وداهية وإن كان هو عز وجل خالقك
وخالق أفعالك مع كسبك ، أنت الكاسب وهو الخالق كما قال بعض
العلماء بالله عز وجل . تجيء ولا بد منك ، وقوله ﷺ : «اعملوا وقاربوا
وسددوا فكل ميسر لما خلق له»^(٢٢٩) .

(٢٢٩) رواه الطبراني عن أبي عباس .

المقالة الحادية والسبعون

في المريد والمراد

قال رضي الله عنه وأرضاه : لا يخلو إما أن تكون مريداً أو مراداً .
فإن كنت مريداً فأنت محمل وحمال يحمل كل شديد وثقيل ،
لأنك طالب ، والطالب مشقوق عليه حتى يصل إلى مطلوبه ويظفر
بمحبوبه ويدرك مرامه ، ولا ينبغي لك أن تنفر من بلاء ينزل بك في
النفس والمال والأهل والولد ، إلى أن يحط عنك الأعمال ، ويزال عنك
الأثقال ، ويرفع عنك الآلام ويزال عنك الأذى والإذلال ، فتصان عن
جميع الرذائل والأدران والأوساخ والمهانات والافتقار إلى الخليفة
والبريات ، فتدخل في زمرة المحبوبين المدللين المرادين .

وإن كنت مراداً فلا تتهمن الحق عز وجل في إنزال البلية بك
أيضاً ، ولا تشكن في منزلتك وقدرك عنده عز وجل لأنه قد يبتليك
ليبلغك مبلغ الرجال ، ويرفع منزلتك إلى منازل الأولياء والأبدال .

أتحب ما يحط منزلتك عن منازلهم ودرجاتك عن درجاتهم وأن
تكون خلعتك وأنوارك ونعيمك دون ما لهم ، فإن رضيت أنت بالدون
فالحق عز وجل لا يرضى لك بذلك ، قال الله تعالى : (والله يعلم وأنتم
لا تعلمون)^(٢٣٠) يختار لك الأعلى والأسنى والأرفع والأصلح وأنت
تأبى .

فإن قلت كيف يصلح ابتلاء المراد مع هذا النعيم والبيان مع أن
الابتلاء إنما هو للمحب ، والمدلل إنما هو المحبوب .
يقال لك ذكرنا الأغلب أولاً وسمرنا بالنادر الممكن ثانياً .

(٢٣٠) الآية (٢١٦) من سورة البقرة .

لاخلاف أن النبي ﷺ كان سيد المحبوبين وكان أشد الناس بلاءً ، وقد قال ﷺ : « لقد خفت في الله ما لا يخافه أحد ، ولقد أوديت في الله ما لم يؤذه أحد ، ولقد أتى عليّ ثلاثون يوماً وليلة ومالنا طعام إلا شيء يواريه إبط بلال »^(٢٣١) وقد قال ﷺ : « إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل »^(٢٣٢) وقال ﷺ : « أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً »^(٢٣٣) فكيف يبتلي المحبوب ويخوف المدلل المراد ولم يكن ذلك إلا بما أشرنا إليه من بلوغ المنازل العالية في الجنة لأن المنازل في الجنة لا تشيد ولا ترفع بالأعمال في الدنيا :

الدنيا مزرعة الآخرة ، وأعمال الأنبياء والأولياء بعد أداء الأوامر وانتهاء النواهي الصبر والرضا والموافقة في حالة البلاء يكشف عنهم البلاء ويواصلون بالنعيم والفضل والدلال واللقاء أبد الآباد ، والله أعلم .

المقالة الثانية والسبعون

فيمن إذا دخل الأسواق ومال إلى مافيها ومن إذا دخلها وصبر

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : الذين يدخلون الأسواق من أهل الدين والنسك في خروجهم إلى أداء ما أمر الله تعالى من صلاة

(٢٣١) وفي ماجاء عن معيشته ﷺ : عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً وكان أكثر خبزهم خبز الشعير . رواه الترمذي «حديث حسن صحيح» .

وفي ماجاء أيضاً عن صبره على البلاء . «قالت عائشة : مارأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله ﷺ» .

(٢٣٢) تقدم ذكره . رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

(٢٣٣) رواه البخاري بلفظ أنا أعلمكم بالله عن عائشة رضي الله عنها وله لفظ عن أبي ذر أنا أعرفكم بالله .

الجمعة والجماعة وقضاء حوائج تسنح لهم على أضرب :

منهم من إذا دخل السوق ورأى فيه من أنواع الشهوات واللذات تقيد بها وعلقت بقلبه فتن ، وكان ذلك سبب هلاكه وتركه دينه ونسكه ورجوعه إلى موافقة طبعه واتباع هواه إلا أن يتداركه الله عز وجل برحمته وعصمته وإصاباره إياه عنها فيسلم .

ومنهم من إذا رأى ذلك كاد أن يهلك بها رجع إلى عقله ودينه وتصبر وتجبر مرارة تركها ، فهو كالمجاهد ينصره الله تعالى على نفسه وطبعه وهواه ، ويكتب له الثواب الجزيل في الآخرة .

كما جاء في بعض الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال : « يكتب للمؤمنين بترك شهوة عند العجز عنها أو عند المقدرة سبعون حسنة »^(٢٣٤) أو كما قال .

ومنهم من يتناوله ويتلبس بها ويحصلها بفضل نعمة الله عز وجل التي عنده من سعة الدنيا والمال ، ويشكر الله عز وجل عليها .

ومنهم من لا يراها ولا يشعر بها ، فهو أعمى عن ماسوى الله عز وجل ؛ فلا يرى غيره ، وأصم عما سواه فلا يسمع من غيره ، عنده شغل عن النظر إلى غير محبوبه واشتهائه ، فهو في معزل عما العالم فيه فإذا رأيته وقد دخل السوق فسألته عما رأى في السوق يقول ما رأيت شيئاً ، نعم قد رأى الأشياء لكن قد رآها ببصر رأسه لا يبصر قلبه ، ونظرة فجاءة لانظرة شهوة ، نظر صورة لانظر معنى ، نظر الظاهر لانظر الباطن ، فبظاهره ينظر إلى ما في السوق وبقلبه ينظر إلى ربه عز وجل ، إلى جلاله تارة وإلى جماله تارة أخرى .

ومنهم من إذا دخل السوق امتلأ قلبه بالله عز وجل رحمة لهم ، فتشغله الرحمة لهم عن النظر إلى ما لهم وبين أيديهم فهو من حين دخوله

(٢٣٤) وفي الحديث أيضاً « عن ابن عباس : وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنه حسنة كاملة ، وإن همَّ بها فعلمها كتبها سيئة واحدة » رواه البخاري ومسلم .

إلى حين خروجه في الدعاء والاستغفار والشفاعة لأهله والشفقة والرحمة عليهم ولهم ، وعينه مغزورة ولسانه في ثناء وحمد لله عز وجل بما أولى الكافة من نعمه وفضله فهذا يسمى شحنة البلاد والعباد، وإن شئت سميته عارفاً وبدلاً وزاهداً وعالماً غيباً وبدلاً محبوباً مراداً ونائباً في الأرض على عباده، وسفيراً وجهبذا ونفاذاً وهادياً ومهدياً ودالاً ومرشداً فهذا هو الكبريت الأحمر وبيضة العقق^(٢٣٥)، رضوان الله عليه وعلى كل مؤمن يريد لله وصل إلى انتهاء المقام، والله الهادي .

المقالة الثالثة والسبعون

في قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم

قال رضي الله عنه وأرضاه : قد يطلع الله تعالى وليه على عيوب غيره وكذبه ودعوته وشركه في أفعاله وأقواله وإضماره ونيته ، فيغار ولي الله لربه ولرسوله ودينه فيشتد غضب باطنه ثم ظاهره حاضراً وغائباً، كيف يدعى السلامة مع العلل والأوجاع الباطنة والظاهرة؟ وكيف يدعي التوحيد مع الشرك، والشرك كفر وبعد عن قرب الله وهو صفة العدو والشيطان اللعين، والمنافقين المقطوع لهم بالدرك الأسفل من النار والخلود فيها فيجري على لسان الولي ذكر عيوبه وأفعاله الخبيثة ووقاحته بعريض دعاويه أحوال الصديقين ومزاحمته للفتانين في قدر الله وفعله، والمراد من على وجه الغيرة لله عز وجل، مرة على وجه الإنكار له والموعظة له أخرى، وعلى وجه الغلبة بفعل الله عز وجل وإرادته وشدة غضبه على الكذب أخرى فيضاف إلى الله عز وجل غيبة، فيقال أیغتاب الولي وهو يمنع منها أو يذكر الغائب والحاضر بما يظهر عند الخواص والعوام؟ فيصير ذلك الإنكار في حقهم كما قال الله عز وجل : (وإثمهما أكبر من

(٢٣٥) العقق : طائر معروف وصوته العققة .

نفعهما^(٢٣٦) في الظاهر إنكار المنكر وفي الباطن إسقاط الرب والاعتراض عليه فيصير حاله الخيرة، فيكون فرضه فيها السكوت والتسليم وطلب المساعي لذلك في الشرع، والجواز لا الاعتراض على الرب والولي يطعنان لافتراءه وكذبه، وقد يكون ذلك سبباً لإقلاعه وتوبته ورجوعه عن جهله وحيرته، فيكون كرها للولي نفعاً للمغرور الهالك بغروره ورعونته. (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)^(٢٣٧).

المقالة الرابعة والسبعون

في ما ينبغي للعاقل أن يستدل به على وحدانية الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه : أول ما ينظر العاقل في صفة نفسه وتركيبه، ثم في جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها، لأن فيه دلالة على الصانع وفي القدرة المحكمة آية على الحكيم، فإن الأشياء كلها موجودة به.

وفي معناه ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه)^(٢٣٨) فقال في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه، فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله، باطن بقدرته وظاهر بحكمته، ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال، وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات، وأخفى الصنع والصنعة وأظهر الصنعة بالإرادة، فهو باطن في غيبه وظاهر في حكمته وقدرته (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)^(٢٣٩).

(٢٣٦) الآية (٢١٩) من سورة البقرة.

(٢٣٧) الآية (٤٦) من سورة النور.

(٢٣٨) الآية (١٣) من سورة الجاثية.

(٢٣٩) الآية (١١) من سورة الشورى.

ولقد أظهر في هذا الكلام من أسرار المعرفة مالا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح ، أمره برفع يد العصمة اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، أنا لنا الله تعالى بركاتهم وحشرنا في زميرهم وحرمتهم آمين .

المقالة الخامسة والسبعون في التصوف وعلى أي شيء مبناه

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : أوصيك بتقوى الله وطاعته ، ولزوم ظاهر الشرع وسلامة الصدر ، وسخاء النفس ، وبشاشة الوجه ، وبذل الندى ، وكف الأذى ، وتحمل الأذى والفقر ، وحفظ حرمان المشايخ والعشرة مع الإخوان ، والنصيحة للأصاغر والأكابر ، وترك الخصومة وحمل الأذى والإرفاق^(٢٤٠) ، وملازمة الإيثار ومجانبة الادخار ، وترك صحبة من ليس من طبقتهم ، والمعاونة في أمر الدين والدنيا وحقيقة الفقر أن لا تفتقر على من هو مثلك وحقيقة الغنى أن تستغني عن من هو مثلك .

والتصوف ليس أخذ عن القليل والقال ولكن أخذ عن الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات ، ولا تبدأ الفقير بالعلم وابدأه بالرفق^(٢٤١) ، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه .

والتصوف مبني على ثمان خصال (السخاء) لسيدنا ابراهيم عليه السلام (الرضا) لإسحق عليه السلام (الصبر) لأيوب عليه السلام (الإشارة) لذكريا عليه السلام (والغربة) ليحيى عليه السلام (والتصوف) لموسى عليه السلام (والسياحة) لعيسى عليه السلام (والفقر) لسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وآل كل وصحب كل وسلم أجمعين .

(٢٤٠) في النسخة الثانية ناقصة (حمل الأذى) .

(٢٤١) في النسخة الثانية ولابتداء الفقير بالعلم وإبدائه بالرفق .

المقالة السادسة والسبعون

في الوصية

قال رضي الله عنه وأرضاه: أوصيك أن تصحب الأغنياء بالتعزز، والفقراء بالتذلل، وعليك بالتذلل والإخلاص، وهو دوام رؤية الخالق، ولا تتهم الله في الأسباب واستكن إليه في جميع الأحوال، ولا تضع حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة .

وعليك بصحبة الفقراء بالتواضع وحسن الأدب والسخاء، وأمت نفسك حتى تحيي، وأقرب الخلق من الله تعالى أوسعهم خلقاً، وأفضل الأعمال: رعاية السر عن الالتفات إلى ماسوى الله تعالى .

وعليك بالحق وبالصبر، وحسبك من الدنيا شيثان: صحبة فقير وخدمة ولي، والفقير هو الذي لا يستغني بشيء دون الله تعالى .

والصولة على من هو دونك ضعف، وعلى من هو فوقك فخر، وعلى من هو مثلك سوء خلق .

والفقر والتصوف جدان فلا تخلطهما بشيء من الهزل، وفقنا الله وإياكم والمسلمين آمين .

ياولي عليك بذكر الله في كل حال فإنه للخير جامع، وعليك بالاعتصام بحبل الله فإنه للمضمار دافع . وعليك بالتأهب لتلقي موارد القضاء فإنه واقع .

واعلم أنك مسئول عن حركاتك وسكناتك، فاشتغل بها هو أولى في الوقت وإياك وفضول تصرفات الجوارح .

وعليك بطاعة الله ورسوله ومن والاه وأد إليه حقه ولا تطالبه بما يجب عليه، وادع في كل حال .

وعليك بحسن الظن في المسلمين وإصلاح النية لهم ، وتسعى
بينهم في كل خير، وأن لا تبيت لأحد في قلبك شر ولا شحشاء ولا
بغض ، وأن تدعوا لمن ظلمك ، وراقب الله عز وجل .
وعليك بأكل الحلال ، والسؤال لأهل العلم بالله فيما لا تعلم .
وعليك بالحياء من الله سبحانه وتعالى .

واجعل صحبتك مع من الله معه واصحب من سوى الله
بصحبه ، وتصدق في كل صباح بقرصك وإذا أمسيت فصل صلاة
الجنائز على من مات من المسلمين في ذلك اليوم وإذا صليت المغرب
فصلاة الاستخارة وتقول بكرة وعشيا سبع مرات «اللهم أجرنا من النار»
وحافظ على قول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (هو الله
الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)^(٢٤٢) إلى آخر
سورة الحشر ، والله الموفق المعين ، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم .

المقالة السابعة والسبعون

في الوقوف مع الله والفناء عن الخلق

قال رضي الله عنه وأرضاه : كن مع الله عز وجل كأن لا خلق ،
ومع الخلق كأن لا نفس ، فإذا كنت مع الله عز وجل بلا خلق وجدت ،
وعن الكل فنيت ، وإذا كنت مع الخلق بلا نفس عدلت وبقيت ومن
التبعات سلمت ، واترك الكل على باب خلوتك ، وادخل وحدك تر
مؤنسك في خلوتك بعين شرك ، وتشاهد ما وراء العيان ، وتزول النفس
ويأتي مكانها أمر الله وقربه ، فإذا جهلك علم ، وبعدك قرب ، وصمتك
ذكر ، ووحشتك أنس .

(٢٤٢) الآية (٢٢) من سورة الحشر .

يا هذا: ما ثم إلا خلق وخالق، فإن اخترت الخالق فقل لهم
(فإنهم عدولي إلا رب العالمين)^(٢٤٣) .

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه : من ذاق عرف، فقليل له : من
غلبت عليه مرارة صفرته كيف يجد حلاوة الذوق ؟ فقال يتعمل في
الشهوات من قبله بقصد وتكلف .

يا هذا : المؤمن إذا عمل صالحاً انقلبت نفسه قلباً وأدرك مدركات
قلب، ثم انقلب قلبه سرا ثم انقلب الفناء فصار وجوداً وبقاء .

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه : الأحباب يسعهم كل باب .
يا هذا : الفناء إعدام الخلائق، وانقلاب طبعك عن طبع
الملائكة ثم الفناء عن طبع الملائكة . ثم لحوقك بالمنهاج الأول، وحينئذ
يسقيك ربك ما يسقيك، ويزرع فيك ما يزرع .

إن أردت هذا فعليك بالإسلام ثم الاستسلام، ثم العلم بالله
ثم المعرفة ثم الوجود، وإذا كان وجودك له كان كلك له .
الزهد عمل ساعة، والورع عمل ساعتين والمعرفة عمل الأبد .

المقالة الثامنة والسبعون

في أهل المجاهدة والمحاسبة وأولى العزم، وبيان خصالهم

قال رضي الله عنه وأرضاه : لأهل المجاهدة والمحاسبة وأولى
العزم عشر خصال جربوها؛ فإذا أقاموها وأحكموها بإذن الله تعالى
وصلوا إلى الله المنازل الشريفة: «الأولى» أن لا يحلف بالله عز وجل
صادقاً ولا كاذباً عامداً ولا ساهياً، لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعود
لسانه رفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهياً وعامداً، فإذا اعتاد ذلك فتح
الله باباً من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه، ورفعه في درجة وقوة في

(٢٤٣) الآية (٧٧) من سورة الشعراء .

عزمه وفي صبره والثناء عند الإخوان، والكرامة عند الجيران حتى يأتم به من يعرفه ويهابه من يراه .

«والثانية» يجتنب الكذب لاهزلاً ولا جاداً، لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاده لسانه شرح الله تعالى به صدره وصفا به علمه، كأنه لا يعرف الكذب، وإذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه وعيره به في نفسه، وإن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب .

«الثالثة» أن يحذر أن يعد أحداً شيئاً فيخلفه، ويقطع العدة البتة فإنه أقوى لأمره وأقصد بطريقه، لأن الخلف من الكذب فإذا فعل ذلك فتح له باب السخاء ودرجة الحياء وأعطى مودة في الصادقين ورفعته عند الله جل ثناؤه .

«الرابعة» أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق، أو يؤذي ذرة فما فوقها، لأنها من أخلاق الأبرار والصادقين، وله عاقبة حسنة في حفظ الله تعالى في الدنيا مع ما يدخر له من الدرجات، ويستنقذه من مصارع الهلاك، ويسلمه من الخلق، ويرزقه رحمة العباد، ويقربه منه عز وجل .

«الخامسة» أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق وإن ظلمه فلا يقطع به لسانه، ولا يكافئه بقول ولا فعل، فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى . وإذا تأدب بها ينال منزله شريفة في الدنيا والآخرة، والمحبة والمودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب وبعيد، وإجابة الدعوة والغلوة في الخلق، وعز في الدنيا في قلوب المؤمنين .

«السادسة» أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفاق، فإنه أقرب للرحمة، وأعلى في الدرجة وهي تمام السنة، وأبعد عن الدخول في علم الله، وأبعد من مقت الله وأقرب إلى رضا الله تعالى ورحمته، فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين .

«السابعة» أن يجتنب النظر إلى المعاصي ويكف عنها جوارحه ،
فإن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً في القلب والجوارح في عاجل الدنيا ،
مع ما يدخره الله من خير الآخرة .

نسأل الله أن يمن علينا أجمعين ويعلمنا بهذه الخصال ، وأن يخرج
شهواتنا عن قلوبنا .

«الثامنة» يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة
ولا كبيرة ، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما احتاج إليه واستغنى عنه ،
فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقين ، وبه يقوى على الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة
واحدة ، فإذا كان ذلك نقله الله إلى الغناء واليقين والثقة به عز وجل ،
ولا يرفع أحد سواه ، وتكون الخلق عنده في الحق سواء ، ويقطع بأن
هذه أسباب عز المؤمنين وشرف المتقين ، وهو أقرب باب للإخلاص .

«التاسعة» ينبغي له أن يقطع طمعه من الآدميين ، ولا يطمع
نفسه فيما في أيديهم ، فإنه العز الأكبر ، والغنى الخاص ، الملك العظيم ،
والفخر الجليل ، واليقين الصافي ، والتوكل الشافي الصريح وهو باب من
أبواب الثقة بالله عز وجل ، وهو باب من أبواب الزهد ، وبه ينال الورع
ويكمل نسكه ، وهو من علامات المنقطعين إلى الله عز وجل .

«العاشرة» التواضع لأن به يشيد محل العابد وتعلو منزلته ،
ويستكمل العز والرفعة عند الله سبحانه وعند الخلق ، ويقدر على ما يريد
من أمر الدنيا والآخرة وهذه الخصلة أصل الخصال كلها وفرعها وكمالها ،
وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين عن الله تعالى في السراء
والضراء وهي كمال التقوى .

والتواضع : وهو أن لا يلقي العبد أحداً من الناس إلا رأى له
الفضل عليه ، ويقول عسى أن يكون عند الله خيراً مني وأرفع درجة ؛
فإن كان صغيراً قال هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت فلا شك أنه

خير مني ، وإن كان كبيراً قال هذا عبد الله قبلي ، وإن كان علماً قال هذا أعطي ما لم أبلغ ، ونال ما لم أنل ، وعلم ما جهلت ، وهو يعمل بعلمه وإن كان جاهلاً قال : هذا عصي الله بجهل وأنا عصيته بعلم ، ولا أدري بم يختم لي وبم يختم له ، وإن كان كافراً قال : لا أدري عسى أن يسلم فيختم له بخير العمل ، وعسى أكفر فيختم لي بسوء العمل ، وهذا باب الشفقة والوجل ، وأولى ما يصحب وآخر ما يبقى على العباد ، فإذا كان العبد كذلك سلمه الله تعالى من الغوائل ، وبلغ به منازل النصيحة لله عز وجل وكان من أصفياء الرحمن وأحبائه ، وكان من أعداء إبليس عدو الله لعنه الله وهو باب الرحمة ومع ذلك يكون قطع باب الكبر وجبال العجب ، ورفض درجة العلو في نفسه في الدين والدنيا والآخرة ، وهو مخ العباد ، وغاية شرف الزاهدين ، وسيماء الناسكين ، فلا شيء منه أفضل ، ومع ذلك يقطع لسانه عن ذكر العالمين ومالا يعني ، فلا يتم له عمل إلا به ، ويخرج الغل والكبر والبغي من قلبه في جميع أحواله ، وكان لسانه في السر والعلانية واحداً ، ومشيته في السر والعلانية واحدة ، وكلامه كذلك ، والخلق عنده في النصيحة واحد ، ولا يكون من الناصحين ، وهو يذكر أحداً من خلق الله بسوء أو يعيره بفعل ، أو يحب أن يذكره عنده واحد بسوء . وهذا آفة العابدين ، وعطب النساء ، وهلاك الزاهدين إلا من أعانه الله تعالى وحفظ لسانه وقلبه برحمته وفضله وإحسانه .

تكملة في ذكر وصايا لأولاده قدست أسرارهم

وبعض مقالات نافعة أوردتها

ومرضه ووفاته ، رضي الله عنه وأرضاه

إنه رضي الله عنه وأرضاه لما مرض مرضه الذي مات فيه وقال له ابنه عبد الوهاب قدس سره : أوصني ياسيدي بما أعمل به بعدك ، فقال

رضي الله عنه وأرضاه : عليك بتقوى الله عز وجل ، ولا تخف أحداً سوى الله ، ولا ترج أحداً سوى الله ، وكل الحوائج إلى الله عز وجل . ولا تعتمد إلا عليه ، واطلبها جميعاً منه تعالى ، ولا تتكل على أحد غير الله سبحانه ، التوحيد التوحيد جماع الكل .

وقال رضي الله عنه وأرضاه : إذا صح القلب مع الله عز وجل لا يخلو منه شيء ولا يخرج منه شيء .

وقال رضي الله عنه وأرضاه : أنا لب بلا قشر .

وقال رضي الله عنه لأولاده : أبعادوا من حولي فإني معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن .

وقال رضي الله عنه : قد حضر عندي غيركم فأوسعوا لهم وتأدبوا معهم ، ههنا رحمة عظيمة ، ولا تضيقوا عليهم المكان .

وكان رضي الله عنه يقول : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، غفر الله لي ولكم ، تاب الله علي وعليكم ، بسم الله غير مودعين . قال ذلك يوماً وليلة .

وقال رضي الله عنه : ويلكم أنا لأبالي بشيء لا بملك ولا بملك الموت ، منح لنا من يتولانا سواك ، وصاح صيحة عظيمة وذلك في اليوم الذي مات في عشيته رضي الله عنه ، وخبر ولداه الشيخ عبد الرزاق والشيخ موسى قدست أسرارهما أن حضرة الغوث رضي الله عنه كان يرفع يديه ويمدها ويقول ، عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، توبوا وادخلوا في الصف إذا جيء إليكم .

وقال رضي الله عنه يقول : أوقفوا ، ثم أتاه الحق وسكرة الموت .

وقال رضي الله عنه : بيني وبينكم وبين الخلق كلهم بعد ما بين السماء والأرض ؛ فلا تقيسوني بأحد ولا تقيسوننا على أحد ، ثم سألته ولده

الشيخ عبد العزيز قدس سره عن أله وحاله فقال رضي الله عنه :
لا يسألني أحد عن شيء ، أنا أتقلب في علم الله عز وجل .

وقال رضي الله عنه : وقد سأله الشيخ عبد العزيز قدس سره
أيضاً عن مرضه ، فقال رضي الله عنه : إن مرضي لا يعلمه أحد ولا يعقله
أحد إنس ولا جن ولا ملك ، ما ينقص علم الله بحكم الله ، الحكم يتغير
والعلم لا يتغير (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب^(٢٤٤)) - و-
لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون^(٢٤٥) أخبار الصفات تمر كما جاءت .

وسأله ولده الشيخ عبد الجبار قدس سره : ماذا يؤملك من
جسمك؟ فقال رضي الله عنه : جميع أعضائي تؤلني إلا قلبي فما به ألم
وهو مع الله عز وجل ، ثم أتاه الموت فكان رضي الله عنه يقول : استعنت
بلا إله إلا الله سبحانه وتعالى ؛ الحي الذي لا يخشى الفوت . سبحانه
من تعزز بالقدرة وقهر عباده بالموت ، لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وأخيراً ولده الشيخ موسى قدس سره أنه قال : لما قربت وفاة
حضرة الشيخ رضي الله عنه وأرضاه كان يقول : تعزز ولم يؤدها على
الصحة فما زال يكررها حتى إذا قال تعزز ومد بها صوته وشدها حتى
صاح لسانه ، ثم قال الله الله الله ثم خفي صوته ولسانه ملتصق بسقف
حلقة ، ثم خرجت روحه الكريمة رضوان الله تعالى عليه .

في بيان تاريخ وفاته وولادته

وكم له من العمر حين دخل بغداد وكم عاش

قدس الله سره ورضى عنه

(فأما ولادته رضي الله عنه) ففي عام أربعمئة وسبعين ، (وأما

(٢٤٤) الآية (٣٩) من سورة الرعد .

(٢٤٥) الآية (٢٣) من سورة الأنبياء .

وفاته) رضي الله عنه ففي عام خمسمائة وأحد وستين .

(وأما عمره) رضي الله عنه فأحد وتسعون سنة .

ودخل بغداد، وله من العمر ثمانية عشرة سنة .

ولله در بعضهم حيث جمع ذلك كله، يعني تاريخ الولادة والوفاة والعمر في بيت مفرد حيث قال :

إن باز الله سلطان الرجال جاء في عشق ومات في كمال

فعلى هذا كلمة (عشق) عددها بالجمع أربعمائة وسبعين، فهو تاريخ الولادة، وكلمة (كمال)، أحد وتسعون فهو قدر العمر .

وإذا ضمينا كلمة (عشق) مع كلمة (كمال) يكون الحاصل من العدد خمسمائة وأحد وستون، فهو تاريخ الوفاة، وكذا حققه في البهجة، وقلائد الجواهر، ونزهة الخاطر، والله أعلم .

في بيان تكملة نسب حضرة الغوث قدس سره من والدته أيضاً رضي الله عنها

قد تقدم نسب حضرة المؤلف قدس الله تعالى سره ورضي عنه وعنا به، الذي من جهة والده قدس الله سره متصل بحضرة سيدنا أمير المؤمنين، الحسن السبط رضي الله عنه .

وليعلم أيضاً أن نسبة الشريف متصل بحضرة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين رضي الله عنه، وذلك من جهة والدته الكريمة رضي الله عنها .

فكان الغرض من ذكره آخر الكتاب للمناسبة الواضحة وهي تقدم الذكور على الإناث طبعاً . وأن سيدنا الحسن رضي الله عنه أكبر

سنأ من حضرة سيدنا الحسين رضي الله عنه ، ولأن يكون التأليف محصناً مسوراً من أوله وآخره بالنسبين الشريفين .

وأيضاً حضرة الشيخ المشار إليه نسبه العالي له اتصال بحضرة خليفة رسول الله ﷺ ورفيقه في الغار أمير المؤمنين سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فأقول وبالله العون ومنه التوفيق لأقوم طريق :

أعلم أن حضرة قطب العارفين الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله تعالى سره والدته الكريمة رضي الله عنها اسمها أم الخير، أمة الجبار فاطمة بنت السيد عبد الله الصومعي الزاهد ابن الإمام السيد أبي جمال الدين السيد محمد، ابن الإمام السيد محمود ابن الإمام السيد أبي العطاء عبد الله، ابن الإمام السيد كمال الدين عيسى، ابن الإمام السيد أبي علاء الدين محمد الجواد، رضي الله عنه . ابن الإمام الهمام علي رضي الله عنه، ابن الإمام الهمام جعفر الصادق رضي الله عنه، ابن الإمام الهمام محمد الباقر رضي الله عنه، ابن الإمام الهمام زين العابدين رضي الله عنه، ابن الإمام الهمام سيد شباب أهل الجنة وقرّة أعين أهل السنة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين رضي الله عنه وعنا آمين .

وأما اتصال النسب العالي بسيدنا أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فهو أن حضرة والدته والد حضرة الغوث المشار إليه قدس سره واسمها أم سلمة رضي الله عنها (كريمة) الإمام محمد رضي الله عنه ابن الإمام طلحة رضي الله عنه، ابن الإمام عبد الله رضي الله عنه، ابن الإمام عبد الرحمن رضي الله عنه ابن حضرة الإمام أمير المؤمنين سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا آمين .

وأما اتصال النسب العالي بحضرة سيدنا ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه :

(فهو) أن سيدنا عبد الله المحض الجد التاسع لحضرة الغوث المشار إليه لقب (بالمحض) لأن لفظ محض يطلق على الخالص من كل شيء (وسيدنا) عبد الله المشار إليه نسبه الشريف خالص من الموالى من جهة الأم والأب فلقب به لأن أباه سيدنا الحسن المثنى ابن سيدنا الحسن البسط رضي الله عنه ابن الإمام سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين (وأمه) فاطمة رضي الله عنها، بعد وفاة أبيه، تزوجها السيد عبد الله بن المظفر رضي الله عنه، ابن عمر رضي الله عنه، ابن أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وأما اتصال النسب العالي بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فاعلم أن عبد الله بن المظفر المتقدم ذكره والدته الكريمة اسمها (حفصة) رضي الله عنها (كريمة) سيدنا عبد الله رضي الله عنه، ابن سيدنا عمر رضي الله عنه، فعلى هذا يكون هذا النسب الشريف له اتصال بسيدنا الصديق وبسيدنا الفاروق وبسيدنا ذي النورين، وبساداتنا الحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

وأما بيان سلسلة طريقته الشريفة المتصلة إلى النبي ﷺ فهو أن حضرة المشار إليه تلقن الذكر الشريف، وبعده تخلف ولبس الخرقة القادرية العلية من شيخه ومرشده، العارف بالله تعالى الشيخ أبي سعيد المبارك ابن علي المخزومي رضي الله عنه .

وبعد أن تولى حضرة الغوث درجة القطبية حضرة الشيخ أبي سعيد أيضاً تخلف ولبس من حضرة الغوث المشار إليه قدست أسرارهما (وشيخهما في الخرقة) شيخ الإسلام العارف بالله تعالى الشيخ

أبو الحسن علي بن يوسف القرشي الهكاري رضي الله عنه (وهو لبس الخرقه من شيخه) العارف بالله الشيخ أبي الفرج الطرطوسي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقه من شيخه) العارف بالله الشيخ أبي بكر دلف بن جحدر الشبلي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقه من شيخه) العارف بالله الشيخ أبي القاسم الجنيد ببغداد رضي الله عنه (وهو لبس الخرقه من شيخه) العارف بالله الشيخ سري الدين السقطي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقه من شيخه) العارف بالله الشيخ أبي محفوظ معروف الكرخي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقه من شيخه) العارف بالله الشيخ داود الطائي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقه من شيخه) العارف بالله الشيخ حبيب العجمي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقه من شيخه) العارف بالله الشيخ حسن البصري رضي الله عنه عن حضرة شيخه ومرشده سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن حضرة سيد المرسلين ورسول رب العالمين سيدنا ونبينا محمد المصطفى ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم ، (وأما بيان أولاده رضي الله عنه): فهم الشيخ عبد الوهاب والشيخ عبد الرزاق والشيخ عبد العزيز والشيخ عبد الجبار والشيخ عبد الغفور والشيخ عبد الغني والشيخ صالح والشيخ محمد والشيخ موسى والشيخ عيسى والشيخ ابراهيم والشيخ يحيى وهو أصغرهم وكريمته أمة الجبار العلوية فاطمة قدست أسرارهم أجمعين .

هذه عقيدة الباز الأشهب

قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كيف كيف وتنزه عن الكيفية ، وأين أين ، وتعزز عن الأينية ، ووجد في كل شيء وتقديس عن الظرفية ، وحضر عند كل شيء وتعالى عن العندية ، فهو أول كل شيء وليس له آخية .

وإن قلت أين فقد طالبت بالأينية، وإن قلت كيف فقد طالبت بالكيفية، وإن قلت متى فقد زاحمت بالوقتيّة، وإن قلت ليس فقد عطلتها عن الكونية، وإن قلت لو فقد قابلته بالنقصية وإن قلت لم فقد عارضته في الملكوتية .

سبحانه وتعالى لا يسبق بقبلية ولا يلحق ببعدية، ولا يقاس بمثلية ولا يقرون بشكلية، ولا يعاب بزوجية ولا يعرف بجسمية .

سبحانه وتعالى لو كان شبحاً لكان معروفاً الكمية، ولو كان جسماً لكان متألّف البنية، بل هو واحد رداً على البنيوية، صمد رداً على الوثنية، لا مثل له طعناً على الحشوية، لا كقوله رداً على من الحد بالوصفية، لا يتحرك متحرك في خير أو شر أو سر أو جهر براً أو بحرأً إلا بإرادته رداً على القدريّة، لا تضاهي قدرته ولا تتناهي حكمته تكذيباً للهدلية، حقوقه الواجبة وحجته البالغة، ولا حق لأحد عليه إذا طالبه نقضاً لقاعدة النظامية، عادل لا يظلم في أحكامه، صادق لا يخلف في إعلامه متكلم بكلام قديم أزلي ولا خالق لكلامه .

أنزل القرآن فأعجز الفصحاء في نظامه إرغاماً لحجج المرادية، يستر العيوب ربنا ويغفر الذنوب لمن يتوب فان امروء إلى ذنبه عاد فالماضي لا يعاد محضاً للبشر، تنزه عن الزيف وتقّدس عن الحيف .

ونؤمن أنه ألف بين قلوب المؤمنين، وأنه أضل الكافرين رداً على الهشامية وتصدق أن فساق هذه الأمة خير من اليهود والنصارى والمجوس رداً على الجعفرية .

ونقر أنه يرى نفسه ويرى غيره، وأنه سميع بكل نداء، بصير بكل خفاء، رداً على الكعبية .

خلق خلقه في أحسن فطرة، وأعادهم بالفناء في ظلمة الحفرة، وسيعيدهم كما بدأهم أول مرة رداً على الدهرية، فإذا جمعهم ليوم

حسابه يتجلى لأحبابه فيشاهدونه بالبصر يرى كالقمر، لا يحجب إلا من أنكر الرؤيا من المعتزلة، كيف يحجب عن أحبابه أو يوقفهم دون حجابهم وقد تقدمت مواعيده القديمة الأزلية. (يا أيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية) ^(٢٤٦) . .

أترى ترضى من الجنان بحورية؟ أم تقنع من البستان بالحلل السندسية؟ .

كيف يفرح المجنون بدون ليلي العامرية؟ كيف يرتاح المحبون بغير النفحات العنبرية؟ أجساد أذيت في تحقيق العبودية كيف لا تتنعم بالمقاعد العنبرية؟ أبصار سهرت الليالي الديجورية ^(٢٤٧)؟ كيف لا تتلذذ بالمشاهدة الأنسية؟ وألباب عذبت باللبانات الحية، كيف لا تشرب من المدامة الربية؟ وأرواح حبست في الأشباح الحسية، كيف لا تسرح في الرياض القدسية وترتع في مراتعها العلية، وتشرب من مواردها الروية، وتنهي ما بها من فرط شوق ووجد شرح الحال عن تلك الشكية ويبرز حاكم العشاق جهراً ويفصل عن تلك القضية .

إذا خوطبت عند التلاق لمولاهما ابتداها بالتحية، فيأمرها إلى جنات عدن فتأبى أنفساً منها أبية. وتقسم فيه أن لا نظرت سواه ولا عقدت لسواه نية، ولا رضيت من الأكوان شيئاً ولا كانت مطالبها دنية، فما هجرت لذيد العيش إلا لتحظى منه بالصلة السنية، ويسقيها مدير الراح كأساً صفاه من صفو صفواته هنية .

إذا أديرت على الندماء جهراً حفت بالبواكر والعشية، تزيدهم ارتياحاً واشتياقاً إلى أنوار طلعت البهية .

(٢٤٦) الآية (٢٨) من سورة الفجر.

(٢٤٧) الديجورية: الديجور: التراب. والظلام. والأعبر الضارب إلى السواد المظلم والكثير من ييس النبات .

وحقك إن عينا لن تريها جمالك فإنها عين شقية ، قتلت بحسبك
العشاق جمعاً بحق هواك رفقا بالرعية ، قلوب تذوب إليك شوقاً ولم يبق
الهُوى منها بقية . فإن أقضى وما قضيت قصدي فإنني من هواك على
وصية ، ولست بآيس عند التلاقي يا إلهي بأن تمحو عواطفك الخطية .

كيف يكون الرديا يا إخواني وفي الأسحار أوقات ربانية ،
وإشارات سماوية ، ونفحات ملكية ؟ والدليل على صدق هذه القضية ،
غناء الأطيار في الأشجار بالألحان الداودية ، وتصفيق الأنهار المنكسرة في
الرياض الروضية ، ورقص الأغصان بالحلل السندسية ، من الجنة كل
ذلك إذعائاً واعترافاً له بالواحدانية .

ألا يا أهل المحبة إن الحق يتجلى في وقت السحر ، وينادي هل من
تائب فأتوب عليه توبة مرضية ؟ هل من مستغفر فأغفر له الخطايا
بالكلية ؟ هل من مستعط فأجزل له النعم والعطية ؟ .

ألا وإن الأرواح إذ صفت كانت ببهجته مشرقة مضية وتساوت
في الأحوال وهان عليها كل رزية .

لاجرم أن رائحة دموعهم في الآفاق عطرية ، وبصرهم على بعض
الهجر استحقوا الوصل من المراتب العلية ، وصحة أحاديثهم في طبقات
المحبين مسندة مروية ، وراحوا من غير سؤال حاجاتهم مقضية ، هدية
الحب قد أصبحت واضحة جليلة ، فيالها من قواف بهية ، وعقيدة سنية ،
على أصول مذاهب الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية ، عصمني الله
تعالى وإياكم من الذين فرقوا فمروا كما يمرق السهم من الرمية ،
وجعلني وإياكم من الذين لهم غرف من فوقها غرف مبنية .

وصلى الله على سيدنا محمد أشرف البرية ، وعلى آله وأصحابه
وخصهم بأشرف التحية ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً ، متجدداً مترادفاً في
كل بكرة وعشية ، والحمد لله رب العالمين .

وهذه القصيدة العينية
من نظم القطب الغوث الرباني
سيدي عبد القادر الجيلاني

فؤاد به شمس المحبة طالع
وليس لنجم العذل فيه مواقع

صحا الناس من سكر الغرام وماصحا
وأفرق كل وهو في ألحان جامع

حميا هواه غير قهوة غيره
مدام دواما تقتنيها الأضالع

هوى وصبابات ونار محبة
وتربة صبر قد سقتها المدامع

أولع قلبي من زرود بهائه
ويا ولهي كم مات ثمة والـع

ولى مطمع بين الأجارع عهده
قديم وكم خابت هناك المطامع

أيا زمن الرند الذي بين لعلع
تقضي لناهل أنت ياعصر راجع

لقد كان لي في ظل جاهك مرتع
هنيّ ولى بالرقمتين مراتع

أجر ذيول اللهو في ساحة اللقاء
وأجني ثمار القرب وهي أيانع

وأشرب كأس الوصل راحا براحة
تصفق بالراحات منها الأصابع

تصرّم ذاك العمر حتى كأني
أعيش بلا عمر وللعيش مانع

مذاغبر خضر العيش وأبيض لمنى
تسود صبحي فالدموع فواقع

وشرب من الغزلان فيهن فتية
لنا هن في سقط الغرير رواتع

عفرن بدورا مذ قلمنا عقاربا
من الشعر خلنا أنهن براقع

رعى الله تلك السرب لي ورعى الحمى
ولا صنعت سربا وأي صنائع

صليت بنار أضرمتها ثلاثة
غرام وشق والديار الشواسع

يخيل لي أن العذيب وماءه
منام ومن فرط الغرام الأجارع

فلا نار إلا مافؤادي محله
وما السحر إلا ما الجفون تدافع

ولا وجد إلا ما أقاسيه في الهوى
ولاموت إلا ما إليه أسارع

فلو قيس ما قاسيته بجنهم
من الوجد كانت بعض ماأنا جارع

جفوني بها نوح فطوفانها الدما
ونوحي رعد والزفر اللوامع

وجسمي به أيوب قد حل للبلا
وإن مسني ضر فما أنا جازع

وما نار ابراهيم إلا كجمرة
من الجمرات اللت حوتها الأضالع

فسرى في بحر الصبابة يونس
تلقمه حوت الهوى وهو خاشع

وكم في فؤادي من شعيب كآبة
تشعب إذ شطت مزاراً مرائع

حكى زكريا وهن عظمى من الضنا
أيحى اصطبارى وهو في الموت واقع

أبا يوسف الدنيا لفقدك في الحشا
من الحزن يعقوب فهل أنت راجع

أتينا تجار الذل نحو عزيزكم
وأرواحنا المزجاة تلك البضائع

فإن تك عطفاً أنت أهل لأهله
أما إن يكن دون العذيب موانع

تحكم بما تهواه فيّ فإنني
فقر لسلطان المحبة طائع

فكل الذي يقضيه في رضاكم
مرامي وفوق القصد ماأنت صانع

حبيتك لا لي بل لأنك أهله
ولا لي في شيء سواك مطامع

فصل إن تردأ ودع وعد عن اللقاء
وأ وعد وعد وعداً فما أنا قانع

تمكن متى الحب فامتحق الحشى
وأتلّفني الوجد الشديد المنازع

وأشغلي شغلي بها عن سوائها
وأذهلني عن الهوى والجوامع

وقد فتكت روحي بقارعة الهوى
وأفانيت عن نحوي بما أنا فارع

تلذلي الآلام إذ أنت مسقمي
وإن تمنحني فهي عندي صنائع

فقام الهوى عندي مقامي فكتته
وغيبت عن كوني فعشقي جامع

غرامي غرام لايقاس بغيره
ودون هيامي للمحبين مانع

فؤادي والتبريح للروح لازم
وسقمي والآلام للجسم تابع

وبعدي وأشجاني وشوقي ولوعتي
لجوهر ذاتي في الغرام طبائع

وشوقي نار والهوى فهو الهوى
وتربي والما وذلي والمدامع

يلوم الوري نفسي لفرط جنونها
وليس بأذني للملامة سامع

ومذ أودعت أحشائي حبك أني
لسهم قسى النائبات مواقع

ومالي إن حل البلاء التفاتة
ومالي إن جاء النعيم مراتع

ولا أن من يسلو ببعض غرائب
عن البعض بل بالكل ماأنا قانع

وشوقي ماشوقي وقيت فإنه
جحيم له بين الضلوع فراقع

وبي كمد لو حملته جبالها
لدكت برضاوها وهدت صوامع

يُخِيلُ لِي أَنْ السَّمَاءَ عَلَى الثَّرَى
طَبَاقاً وَأَنِّي بَيْنَ ذَلِكَ وَاقِعٌ

وَلِي كَبِدٌ حَرَاءٌ مِنْ جَزَعٍ بِهَا
عَلَيْكَ وَلَمْ تَبْرُدْ عَلَيْكَ مَصَالِحُ

وَنَفْسِي نَفْسٌ أَيْ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ
تَرَى الْمَوْتَ نَصَبَ الْعَيْنِ وَهِيَ تَسَارِعُ

فَهَمِي وَفَهَمِي ذَا عَلَيْكَ وَفِيكَ ذَا
وَجْدِي وَوَجْدِي زَائِدٌ وَمَتَابِعُ

وَعَزْمِي زَعْمِي أَنَّهُ فَوْقَ كُلِّهَا
تَرَاءَى وَدَمْعِي إِنَّمَا هُوَ نَافِعُ

تَسَامِرُ عَيْنِي السَّهَالَ سَهَادَهَا
وَتَسْأَلُ بَلْ مَاسَالُ إِلَّا الْمَدَامُ

وَيَطْرُقُ مِنْكَ الطِّيفُ جَفَنَ بَغِيَّتِي
وَكَمْ زَارَهُ طِيفٌ وَمَاهُو هَاجِعُ

يُخْبِرُنِي عَنْكَ الصَّبَا وَهُوَ جَاهِلُ
فَتَلْتَذُّ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَالْمَسَامِعُ

إِذْ زَمَزَمْتُ وَرَقَ عَلَى غَصْنِ بَانَةٍ
وَجَاوَبَ قَمْرِي عَلَى الْأَيْكَ سَاجِعُ

فَأَذِنِي لَمْ تَسْمَعْ سَوَى نَغْمَةِ الْهَوَى
وَمِنْكُمْ فَإِنِّي لِأَمْنِ الطَّيْرِ سَامِعُ

وعن أي أمن كان إن هب ضائع
لكم فيه من عطر الغرام بضائع

وإن زجر الرعد الحجازي بالصفاء
وأبرق من شعبي جياذ لوامع

يصوّر لي الوهم المخیل أن ذا
ثناك وهذا من ثناياك ساطع

فأسمع عنكم كل أحرص ناطقاً
وأشهدكم في كل شيء مطالع

إذا شاهدت عيني جمال ملاحه
فما نظري إلا بعينك واقع

وماهز من غصن فتى تحت طلعه
من البدر أبدت ما خفتها الأضالع

ولاسلست أعناقها بغرامها
تصافيق جهد خطهن وقائع

ولا نقطت خال الملاحه بهجه
على وجنة إلا وحرفك طالع

فأنت الذي لي فيه يظهر حسنة
به لابننفسى ماله من ينزع

وإن حسن جلدي من كثيف خشونة
فلي فيه من أطفاف حسنك دارع

تخذتك وجهاً والأنام بطانة
فأنجمهم غابت وشمسك طالع

فديني وإسلامي وتقواي إنني
بحبك فان لائتبارك طائع

إذا قيل قل لا قلت غير جماها
وإن قيل إلا قلت حسنك شائع

أصلي إذا صلى الأنام وإنما
صلاقي بأني لاعتزازك خاضع

أكبر في التحريم ذاتك عن سوى
وباسمك تسبيحي إذا أنا خاشع

أقوم أصلي أي أقوم على الوفا
بأنك فرد واحد الحسن جامع

وأقرأ من قرآن حسنك آية
فذلك قرآني إذا أنا راکع

فأسجد كي أفني عن الفنا
وأسجد أخرى والمتيم والع

وقلبي ماذا أبقاه حسنك عنده
تحياته منكم وإليكم تسارع

صيامي هو الإمساك عن رؤية السوى
وفطري أني نحو وجهك راکع

وبذلي نفسي في هواك صبا^(٢٤٨)بة
زكاة جمالي منك في القلب ساطع

أرى مرج قلبي مع وجودي جناية
فماء طهوري أنت والغير مائع

أيا كعبة الآمال وجهك حجلي
وعمرة نسكي إنني فيك والاع

وتجريد نفسي من غيظ ثيابها
بوصل وإحرام عن الغير قاطع

ويلتذمني أن أدلك مهجلي
لما منك في دار من الحسن مانع

كأن صفاة منك تدعو إلى العلا
فلبت بقلبي فاستبان شواسع

فتركي لطبي والنكاح فإن ذا
صفاتي وذا ذاتي فهن موانع

وإعفاء حلق الرأس ترك رئاستي
وشرط الهوى أن المتيم خاضع

إذا ترك الحجاج تقليم ظفرهم
تركت من الأفعال ما أنا صانع

(٢٤٨) صبا^(٢٤٨)بة: رقة الشوق وحرارته .

وكنـت كآلات وأنت الذي بها
تصرف بالمقدور ماهو واقع

وما أن جبري للعقيدة أني
محب فنى فيمن حوته الأضالع

فها أنا في تطواف كعبة حسنـها
أدور ومعني الدور أني راجع

ومذ علمت نفسي طوافك سبعة
فأعداد تطوافي جمال سوابع

أقبل خال الحسن والحجر الذي
لنا من قديم العهد فيه ودائع

ومعناه أن النفس فيها لطيفة
بها تقبل الأوصاف والذات شائع

وأستسلم الركن اليماني إنه
به نفس الرحمن والنفس سالع

وأختم تطواف الغرام بركعة
من المحو عما أحدثته الطبائع

ترى هل لموسى القلب في زمزم اللقا
مراضع لاحرّمت تلك المراضع

فيذهب وصفي في صفات صفاتكم
ليسعى لمرو الذات وهي تسارع

وليس الصفا إلا الصفاء ومروة
بأنى على تحقيق حقي صادع

وما القصر إلا عن سواكم حقيقة
وما الخلق إلا ترك ما هو قاطع

ولا عرفات الوصل إلا جنابكم
فطوبى لمن في حضرة القرب يانع

على علمي معنأك ضدان جمعا
ويالهفي ضدان كيف التجامع

بمزدلفات في طريق غرامكم
عوائق من دون اللقا وقواطع

فإن حصل الإشعار في زمزم اللقا
وساعد جذب العزم فالفوز واقع

على مشعر التحقيق عظمت في الهوى
تبعاً بحكم أصلته الشرائع

وكم من منى لي في منى حضراتكم
وباحسرتي إن المحسر شاسع

رمى جمار النفس في الروح فاشتت
جهنمها ماء وصاحت ضفادع

وأبدل رضوان بمالك وأنبتت
بها شجر الجرجير والغصن يانع

ففاضت على ذاتي ينابيع وصفها
وناهيك صرف الحق تلك الينابيع

وطفت طوافاً للإفاضة بالحمى
وقمت مقاماً للخليل أتابع

فمكنت من ملك الغرام وهأنأنا
ملك وسيفي في الصبابة قاطع

وحققت علماً واقتداراً جميع ما
تضمنه ملكي ومالي منازع

ولما قضينا النسك من حجة الهوى
وقمت لنا من حي ليلي بدائع

حشنا مطايا العزم نحو محمد
وطفنا وداعاً والدموع هوامع

وجبنا بتهنئة النفوس مفاوزا
سباسب فيها للرجال مصارع

حمى درست في العالمين طريقه
فعزوكم قد خاب في العز طامع

محل بحال القرب حالت رسومه
وأوج منيع دونه البرق لامع

ينكس رأس الريح عند ارتفاعه
فكم زال عنه السحب والغيث هامع

حوى تحته بهرام في الأوج ساجداً
وكيوان من فوق السموات راکع

فكم رامح مذ رامه صار أعزلاً
وفي قلبه من عقرب الفقر لاذع

سربت به الليل أدجى من العمى
على باذل أفديه ماهو طائع

يجوب الفلا جوب الصوا عى في الدجا
ويرحل عن مرعى الكلا وهو جائع

وإن مر بعد العسر بالماء إنه
على ظمأ من ذاك باليسر قانع

هي النفس نعمت مركباً ومطية
فليس لها دون المرام موانع

فيا سعد إن رمت السعادة فاغتنم
فقد جاء في نظم البديع بدائع

مفاتيح أقفال القلوب أتتك في
خزائن أقوالي فهل أنت سامع

أكشفت عن أسرار الشريعة فانحها
فما وضعت إلا لتلك شرائع

وها أنا ذا أخفي وأظهر تارة
رمز الهوى مالى سر عندي ذائع

وإياك أعني وأسمعي جارتى وما
يصرح إلا جاهل أو مخادع

ولكنني آتيك بالبدر أبلجا
وأخفيه أخرى كي تصان الودائع

خذوا الأمر بالإيمان من فوق أوجه
ونازع إذا نفسا أتك تنازع

فللمرء في التنزيل أو في أدلة
ولكن قلبي في الحقيقة والع

وفي السنة الزهراء كل عبارة
بها من إشارات الغرام وقائع

فإن كنت فيمن ماله يد ماجد
سوى أن بتصریح التشكل قانع

سأنشيء روايات إلى الحق أسندت
وأضرب أمثالا بما أنا واضع

وأوضح بالمعقول سر حقيقة
لمن هو ذو قلب إلى الحق راجع

تجلى حبيبي في مرائي جماله
ففي كل مرأى للحبيب طلائع

فلما تبدى حسنه متنوعا
تسمى بأسماء فهن مطالع

وأبرز منه وفيه آثار وصفة
فذا لكم آثار من هو صانع

فأوصافه والاسم والأثر الذي
هو الكون عين الذات والله جامع

فما ثم من شيء سوى الله في الوري^(٢٤٩)
وماثم مسموع وماثم سامع

هو العرش والكرسي والمنظر العلى
هو السدرة^(٢٥٠) اللاتي إليها المراجع

هو الأصل حقاً والرسوم مع الهوى
هو الفلك الدوار وهو الطبائع

هو النور والظلمات والماء والهوى
هو العنصر الناري وهو الطبائع

هو الشمس والبدر المنير مع السها
هو الأفق وهو النجم وهو المواقع

هو المركز الحكيم والأرض والسما
هو المظلم العتام وهو اللوامع

هو الدار وهو الحي والأثل^(٢٥١) والغضا
هو الناس والسكان وهو المربع

(٢٤٩) الوري: الخلق.

(٢٥٠) الدرة: الدر: شجر النبق والواحدة سدرة.

(٢٥١) الأثل: شجر وهو نوع من الطرفات الواحدة أثلة.

هو الحكم والتأثير والأمر والقضا
هو العز والسلطان والمتواضع

هو اللفظ والمعني وصورة كلما
يجول من المعقول أو هو واقع

هو الجنس وهو النوع والفصل إنه
هو الواجب الذاتي والمتناع

هو العرض الطاري نعم وهو جوهر
هو المعدن الصلدي^(٢٥٢) وهو المواع

هو الحيوان الحي وهو حياته
هو الوحش والإنسي وهو السواجع

هو القيس بل ليلي وهو بثينة
أجل نشرها والخيف وهو الأجراع

هو العقل وهو النفس والقلب والحشا
هو الجسم وهو الروح والمتدافع

هو الموجد الأشياء وعين وجودها
وعين ذوات الكل وهو الموانع

بدت في نجوم الخلق أنوار شمسه
فلم يبق حكم النجم والشمس طالع

(٢٥٢) الصلدي : الصلب الأملس .

حقائق ذات في مراتب حقه
تسمى باسم الخلق والخلق واسع

وفي فيه روعي نفحت كناية
هل الروح إلا عينه يامنزع

ونزعه عن حكم الحلول فما له
سوى وإلى توحيده الأمر راجع

فيا أحدى اللذات في عين كثرة
ويا موجد الأشياء ذاتك شائع

تجلت في الأشياء حين خلقتها
فها هي ميطت عنك فيها البراقع

قطعت الورى من ذات نفسك قطعة
ولم يك موصولاً ولا فصل قاطع

ولكنما أحكام ربتك اقتضت
ألوهية للضد فيك التجامع

فأنت الورى حقاً وأنت إمامنا
وأنتك ما يعلو وما هو واضع

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة
وأنت بها الماء الذي هو نابع

فما الثلج في تحقيقنا غير مائه
وغير أن في حكم دعتة الشرائع

ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه
ويوضع حكم الماء والأمر واقع

تجمعت الأضداد في واحد البها
وفيه تلاشت فهو عنهن ساطع

فكل بهاء في ملاحه صورة
على كل قيد شابه الغصن يانع

وكل أسوداد في تصافيق طرة
وكل احمرار في الطلائع صانع

وكل كحيل الطرف يقتل صبه
بماض كسيف الهند حال مضارع

وكل اسمرار في القوائم كالقنا
عليه من الشعر الوسيم شرائع

وكل مليح بالملاحه قد زها
وكل جميل بالمحاسن بادع

وكل لطيف جل أو دق حسنه
وكل جليل وهو باللفظ صانع

محاسن من أنشاه ذلك كله
فوحده ولا تشرك به فهو واسع

وإياك لاتلفظ بغيرية إلها
فما ثم غير وهو بالحسن بادع

وكل قبيح إن نسبت لحسنه
أنتك معاني الحسن فيه تسارع

ولا تحسبن الحسن ينسب وحده
إليه البها والقبح بالذات راجع

يكمل نقصان القبيح جماله
وما ثم نقصان ولا ثم يانع

ويرفع مقدار الوضع جلاله
إذا لاح فيه فهو للوضع رافع

فلا تحتجب عنه لشيء بصورة
فخلف حجاب العين للنور لامع

وأطلق عنان الحق في كل ماترى
فتلك تجليات من هو صانع

لقد خلق الأرضين بالحق والسما
كذا جاء في القرآن إن أنت سامع

وما الحق إلا الله لاشيء غيره
فشم شذاه فهو في الخلق ضائع

وشاهده حقاً فيك منك فإنه
هويتك الالائي بها أنت دال

ففي أينما حقاً تولوا وجوهكم
فما ثم إلا الله هل من يطالع

فبع منك نفساً بالإله وكنهه
تكون كما إن لم تكن وهو صانع

ودع عنك أوصافاً بها كنت عارفاً
لنفسك فيها للإله ودائع

وشاهد بوصف الحق نفسك أنت هو
ولا تلتبس للحق ما أنت خاضع

وكن باليقين الحق للخلق جاحداً
وجمعك خله إن فرقك قاطع

ولا تحتقر بالإسم فالإسم دارس
ولا تختصر بالعين فالعين تابع

وإياك حزماً لايهولك أمرها
فما نالها إلا الشجاع المقارع

حنانيك واحذر من تأدب جاهل
فيارب آداب لقوم قواطع

وكن ناظراً في القلب صورة حسنه
على هيئة للنفس يظهر طابع

فقد صح في متن الحديث «تخلقوا
بأخلاقه» مالحقيقة مانع

وهاهو سمع بل لسان أجل بدا
لنا هكذا بالنقل أخبر شارع

فعم قوانا والجوارح كونه
لساناً وسمعاً ثم رجلاً تسارع

وكنا شواهد للجوارح والقوى
هو الكل منا ما لقولي دافع

ويكفيك ما قد جاء في الخلق إنه
على صورة الرحمن آدم واقع

ولو لم يكن في وجه آدم عينه
لما سجد الأملاك وهي خواضع

ولو شاهدت عين لإبليس وجهه
على آدم لم يعص وهو مطاوع

ولكن جرى المقدور فهو على عمى
عن العين إذ حالت هناك موانع

ولاتك من إبليس في شبه سيره
ودع قيده العقلي فالعقل رادع

وخض في بحار الإتحاد منزهاً
عن المزج بالأغيار إن أنت خاشع

وإياك والنزیه فهو مقيد
وإياك والتشبه فهو مخادع

وشبهه في تنزيه سبحات وجهه
ونزّه في تشبيه ما هو ضارع

وقل هو ذابل غبره وهو غير ما
عرفت وعين العلم فالحق شائع

ولاتك محجوباً برؤية حسه
عن الذات أنت الذات أنت المجامع

فعينك شاهدها مجداً لأصلها
فإن عليها للجمال لوامع

أنيتك التي هي القصد والمنى
بها الأمر مرموز وحسنك بارع

ونفسك تحوي بالحقيقة كلما
أشرت بجد القول ما أنا خادع

تني بها واعرف حقيقتها وما
كعرفانها شيء لذاتك نافع

فحقق وكن حقاً فأنت حقيقة
لحقك والمخلوق بالذات جامع

ووحده في الأشياء فهو منزه
وخلف حجاب الكون للنور ساطع

ولا تطلبن فيها الدليل فإنه
وراء كتاب العقل تلك الوقائع

ولكن بإيمان وحسن تتبع
إذا رمت جاءتك الأمور توابع

وإن قيدتك النفس فاطلق عنانها
وسر معها حتى تهون الوقائع

وبرهن لها التحقيق عقلاً مقيداً
بنقل به جاءت إليك شرائع

فثم أصول في الطريق لأهلها
وهن إلى سبل النجاة ذرائع

تمسك بها تنجو وزن كل وارد
بقسطاسها عدلاً فثم قواطع

ودع ماتراه مال عن خط عدلها
إلى أن تناجيك الشموس الطوالع

فذاك سبيلي رده إن ترد العلا
ولاتعد عنه تعتريك قواطع

(*)

(*)

وإني ومن في الحب أهدي بهديه
بأنك لا تهدي من أحبت قانع

فدع عنك دعوى القول في نكت الهوى
فراحلة الألفاظ في السير طالع

وسر في الجوري^(٢٥٣) بالروح واصغ إلى الهوى
لتسمع منه سر ما أنت والع

(٢٥٣) الجوى : الحرقه وشدة الوجع من عشق أو حزن .

ومن دون هذا الاستماع مهالك
وماكل أذن فيه تلك المسامع

فشمر ولد بالأولياء لأنهم
لهم من كتاب الله تلك الوقائع

هم الذخر للملهوف والكنز للرجا
ومنهم ينال الصب ما هو طامع

بهم يهتدي للعين من ضل في الهوى
بهم تجذب العشاق والربع شاسع

هم القصد والمطلوب والسؤال والمنى
وأنسهم للصب في الحب شائع

هم الناس فالزم إن عرفت جنابهم
ففيهم لضرير العالمين منافع

وإن جهلو فانظر بحسن عقيدة
إلى كل ماتلقاه بالفقر ضارع

وحافظ مواقيت الإرادة قائماً
بشرع الهوى إن أنت في الحب شارع

وداوم على شرطين ذكر أحبة
وتسليك نفس للخلاف تسارع

ولا تهملن ذكر الأحبة لمحة
فمیل الفتى عما يحاول رادع

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا
إلى شيخ حق في الحقيقة بارع

فقم في رضاه واتبع لمراده
ودع كلما من قبل كنت تسارع

ولاتعترض فيما جهلت من أمره
عليه فإن الاعتراض تنازع

وسلم له فيما تراه ولو يكن
على غير مشروع فثم مخادع

ففي قصة الخضر الكريم كفاية
بقتل غلام والكليم^(٢٥٤) يدافع

فلما أضاء الصبح عن ليل سره
وسل حساماً للغياهب قاطع

أقام له العذر الكليم وإنه
كذلك علم القوم فيه بدائع

وواظب شهود الحق فيك فإنه
هو الحق والأنوار فيك سواطع

ورق مقام القلب عن نجم ربه
إلى قمر الرحمن إذ هو طالع

(٢٥٤) الكليم: الذي يكلمك.

إلى شمس تحقيق الألوهة رافعاً
إلى ذاته في العذر إن أنت رافع

فله خلف الإسم والوصف مظهر
وعنه عيون العالمين هواجع

وليس ترى الرحمن إلا بعينه
وذلك حكم في الحقيقة واقع

وإياك لاتستبعد الأمر إنه
قريب على من فيه للحق تابع

وها أنا ذا أنبيك عن سبل الهوى
وأفصح عما قد حوته الشارع

أقص حديثاً تم لي عن بدايتي
لنحو انتّهائي عله لك نافع

برزت من النور الإلهي لمعة
لحكمة ترتيب اقتضتها البدائع

إلى سقف عرش الله في أفق العلا
ومنه إلى الكونين وهي تسارع

إلى القلم الأعلى ولبي منه مدة
إلى اللوح لوح الأمر والخلق واسع

إلى المنتهى السامي وقبل مكرماً
نزلت الهيولي وهو للخلق جامع

هناك تلقيتني العناصر حكمة
ومنها أحلتني حماها الطبائع

وأنزلي المقدور في أوج أطلس
هو الفلك العالي الذري وهو تاسع

ومنه هبوطي للكواكب نازلاً
على فلك كيوان ثمة سابع

فلما نزلت المشتري وهو سادس
سماء به للكون في السعد تابع

أتيت سما بهرام من بعدها بطا
على فلك الشمس والشمس رابع

وبالكرة الزهراء أعني سماءها
حثت مطايا السير والدار شاسع

على كاتب الأفلاك وهو عطار
وفدت فكانت لي هناك مرابع

فبالقمر الباهي نزلت وشرعت
على الفلك الناري الأشد شرائع

ومنه هواء الأمر في فلك الهوى
ركائب عزم مالهن موانع

وبالكرة المائية العين إذ سرت
إضافة ركب العزم فيها البلاقع

وهذا نزول الجسم من عند ربه
وللروح تنزيل لخلق متابع

وذلك أن الروح في المركب الذي
لها هي روح الحق فافهم أسامع

فليس لها فيه هبوط منزل
وليس لها فيه صعود مرافع

وذلك للأرواح أخلق حقيقة
وذلك تنزيل لها وقواطع

ففي المثل المفروض وجه تنوعت
سرائره حتى بدا متتابع

فيرز في حكم المرات إلى الورى
على الجرم والمقدار إذ ذاك طابع

فتنوعها ذاك التجلي هو الادي
تسميه روحاً وهو بالنفخ واقع

وإلا فلا اسم غير

(٢٥٥)

.....

.....

وليس له إلا الصفات مواضع

(٢٥٥) بياض بالأصل .

تنزه ربي عن حلول بقدسه
وحاشاهما بالإتحاد بواقع

ومهما تجد الروح جسماً فإنها
لتصوير ذاك الجسم في الصور تابع

فيتبعها في صورها وارتفاعها
ويتبعه إن جر يوماً طبائع

فمن سبقت الله فيه عناية
فغير مكوث في التراب يسارع

فإن روفقت بالتزكيات رقت به
إلى المركز العالي الذي هو رافع

وإن ضعفت واستولت النفس والهوى
فكن تبعاً للجسم إذ قام تابع

فتشفى به في سجن طبع ولو رقت
به كان مسعوداً وفي العز رائع

وإن نزول الجسم للخلق في الثرى
سواء فما من بعد ذاك تنازع

ومن بعدته السابقات فإنه
له بين نبت والثريا تراجع

.....
(٢٥٦)

.....
(٢٥٦) بياض بالأصل .

تركت لها الأسباب شغلاً بحبها
ووجدتُ بنارٍ قد حوتها الأضالع

وأشغلتني شغلي بها عن شواغلي
وفيه فإني للعذار مخالغ

خلعت عذارِي في الهوى وزهدت في
مكاني وإمكاني وما أنا جامع

وألقيت إنساني فألقيت مهجتي
وجافيت نومي بل جفتني المضاجع

وسلمت نفسي للصبابة راضياً
بحكم الهوى تحت المذلة خاضع

وفوضت أمري في هواها توكلأ
ليقطع في حكمي بما هو قاطع

فأنزلي من أوج عزي ذلة
فلي بعد رفع الإقتدار تواضع

عنيت فأغناني عنائي بحبها
وعندي أمام نحوها وضرائع

طرحت على أرض الهوان رئاستي
لها نعمة طرحاً لقدرِي رافع

لبست لباس الوجد فيها خلاعة
لباس الهوى في الحب ما أنا خالغ

وقد أودعتني تربة الذل والشقا
وجرد راجي راحل وموادع

ولي في هواها هتكة^(٢٥٧) وتبذذ
على أن قلبي في هواها مضارع

جعلت اعتقادي في هواها وسيلتي
فياضعف مشفوع له الفقر شافع

وجئت إليها راغباً متولهاً
ولكن بها منى إليها أسارع

سكنت الفلا مستوحشاً عن أنيسها
ومستأنساً بالوحش هن رواتع

أنوح فتشجيني حمام سواجع
وأبكي فتحكيني غمام هوامع

ولي إن عوى ذيب علي فقد إلفه
زفير له في الخافقين ضرائع

وإن غردت قمرية فوق أيككة
وجاوب قمري على الأيك ساجع

فإني لآفاتي وتكدير لوعتي
بتلك الفيا في والظلام أراجع

(٢٥٧) هتكة : من هتك : واهتك خوف السروعها وراءه .

ولي بمريض الجفن سقم مبرح
ولي في عصى القلب دمع مطاوع

نحلت من الآلام حتى كأني
مقدر مفروض وماهو واقع

فلو نقط الخطاط حرفاً لهيكلي
على سطح لوحى مارآه مطالع

فجسمي وأسقامي محال وواجب
ودمعي وخدي أحمر وفواقع

أسائل من لاقيت والدمع سائل
عن القلب والسكان والقلب جازع

تحارب صبري والكرى فتباينا
وسالم قلبي الحرق فهو مبائع

وقد قيدت بالنجم أهذاب مقلتي
كما أطلقت عن قيدهن المدامع

وأسقط قدرى في الهوى شنة الهوى
وعندي أن العز تلك الشنائع

فكم مر بي من كنت أرفع قدره
كأني له من بعد ذلك واضع

وينكف إن ألقاه بي متطيراً
ومالي إن حدثته لي سامع

فمالي في الأحياء إن عشت صاحب
ومالي حقاً إذ أموت مشائع

ولا لي إن حدثهم من محادث
ولا إذ دهاني الخطب فيهم مدافع

كأن لم أكن في الحي أرفع أهله
مكاناً وقدري في المكانة رافع

ذلت إلى أن خلت أني لم أزل
أذل لهم قدراً فهأننا خاضع

وأحسب أن الأرض تنكف^(٢٥٨) أن ترى
ولي في ثراها مذهب ومشارع

رعى الله إخواناً رعوا لمودتي
فهن لقلبي حين كن توابع

نعم وسقى وجد مدى الدهر مؤنسي
فكم لك ياوجدي عليّ صنائع

فيا زفراقي اصعدي وتنفسي
فقد هبطت من ضيق جفني المدامع

وياكبدي في الحب ذوبي صباة
وياكمدي دم إنني بك يانع

(٢٥٨) تنكف : من تكف والتكف هو العدول .

وياجسدي هل فيك من رمتق فما
أراك سوى بالوهم عندي طالع

ويامهجي الرسم منك قد اندرس
وياطلل الأحشاء فجعلك صانع

وياجفني المقروح قد فنى الدما
وياقلبي المجروح هل أنت فازع

وياذاقي المعدوم هل لك بعثة
وياصبري المهزوم هل أنت راجع

وياخفقان القلب زدني كآبة
وبنار وجدي قدمنين أضالع

ويانفسي الحراء موتي تلفها
فما لك في ذنب المحبة شافع

وياروحي المبعوث صبراً على البلا
وياعقلي المسلوب هل أنت راجع

وياما بقي في الوهم مني وجوده
عدمتهك شيئاً وقعته متمانع

ويامسقمي زدني أسى وتبدداً
فليس لسقمي غير صبري نافع

وياعاذلي كم تعذلي وإن أكن
إلى العذل لأصغي فللذكر سامع

وياقاضياً في الحب يقضي بعدله
تحكم بجور إنني لك طالع

جعلت وجودي ما بمن لها به
وإن وجودي مكرة وخدائع

فمن مصر أرضى قد خرجت المدين الـ
على وشعيب القلب فيه صرائع

فلاقيت بنتي عادتي وطبائعي
يذودان أغنامي ومائي نابع

سقيت من الماء الغنيم غنائماً
ومن رعى زهر العلم هن شوابع

وجاء على استيحاء ذاتي برها
بتوحيدها إحداها وتسارع

فلما تزوجت الحقيقة صنتها
وأمرها مني حماة شرائع

صعدت معالي طور قلبي منادياً
لربي حتى أن بدت لي لوامع

وخلفت أهلي وهي نفسي تركتها
وجئت إلى النار التي هي ساطع

فناداني التوحيد نعليك دعها
فها أنا ذا للروح والجسم خالع

وكلمني التحقيق من شجر الحشا
بأني بالوادي المقدس راتع

وسرت بعقلي أي فتاي وحوته
إلى مجمع البحرين والعقل تابع

هناك نسيت الحوت وهو أنيتي
فسبح في بحر الحقيقة شارع

على أثري ارتديت حتى وجدتي
هو الأصل إذ نفس أنا وهو طالع

فلما تعارفنا ولم يبق نكرة
أردت اتباعاً كي يفوز المتابع

فأخرق في بحر الإله سفيني
وبحر غلام الشرك إذ هو خادع

وجاء بلاد الله قرية غزة
وفيها لقلبي منجع ومخادع

أردنا ضيافات أبوا أن يضيفوا
لمسدل في وجه البدور طوالع

هناك جدار الشرع خضري أقامه
لئلا ترى بالعين تلك الشوارع

فإن فهمت أحشاك ماقلت مجملاً
وإلا فبالتفصيل ما أنا واضع

وإني على تنزيه ربي لقائل
بأوصافه عني فحقي صانع

أنا الحق والتحقيق جامع خلقه
أنا الذات والوصف الذي هو تابع

فأحوي بذاتي ما علمت حقيقة
ونوري فيها قد أضاء فلامع

ويسمع تسبيح الصوامت مسمعي
وإني لأسرار الصدور أطلع

وأعلم ما قد كان في زمن مضى
وحالا وأدري ما أفاد مضارع

ولو خطرت في أسود الليل نملة
على صخرة صماء إني أطلع

أعد الثرى رملا مثاقيل ذرة
وأحصى عديد القطر وهي هوامع

وأحكم موج البحر وسط حطيمها
عياراً ومقداراً وما هو واقع

وأنظر تحقيقاً بعيني محققاً
قصور جنان الخلد وهي قلائع

وأتقن علماً بالإحاطة جملة
لأوراق أشجار هناك أيانع

وكل طباق في الجحيم عرفتها
وأعرف أهلها ومن يك واضع

وأنواع تعذيب هناك علمتها
وأهلها طرا وهن فظائع

وأملأكها حقاً عرفت ولم يكن
عليّ بخاف من أنا له واضع

وكل عذاب ثم ذفت ولم أبل
أأخشى وإني للمقامين واضع

وكل نعيم إني لمنعم
به وهو لي ملك ومائم رادع

وكل عليم في البرية إنه
كقطرة ماء من بحاري دافع

وكل حكيم كان أو هو كائن
فمن نوري الوضاح في الخلق لامع

وكل عزيز بالتجبر قاهر
يبطش اقتداري في البرية قامع

وكل هدى في العالمين فإنه
هداي ومالي في الوجود منازع

أصور مهما شئت من عدم كما
أقدر مهما شئت فهو مطاوع

وأفني إذا شئت الأنام بلمحة
وأحيى بلفظي من حوته البلاقع^(٢٥٩)

وأجمع ذرات الرسوم من الثرى
وأنشئ كما كانت وإني بادع

وفي البحر لو نادى باسمي حوته
أجبت وإني للمناجين سامع

وفي البر لو هب الرياح على الثرى
أحيط وأحصى ماحوته البلاقع

وخلف معالي كاف لو يستغيث بي
مغاث فإني ثم للضر دافع

وأقلب أعيان الجبال فلو أقل
لها ذهباً كوني فهن فواقع

وأجرى إذا شئت السفائن في الثرى
وفي البحر لو أبغي المطي تسارع

وأن طباق العرش تحت قوائم
ورجلي على الكرسي ثمة رافع

وبيتي بسقف العرش حاشاي ليس لي
مكان ومن فيضي خلقن المواضع

(٢٥٩) البلاقع : البلقع والبلقعة : الأرض الفقر التي لا شيء فيها .

وأجرى على اللوح المقادير ماأشا
وبالقلم الأعلى فكفي بارع

وسدرة أوج المنتهي لي موطىء
وغاية غايات الكمال مصارع

وكل معاش الخلق تجربة راحتي
لراحتهم جوداً ولست أصانع

وفي كل جزء من تراكيب هيكلي
لوسعي والكروني والعرش ضائع

فلا فلك إلا وتحويه قدرتي
ولاملك إلا لحكمي طائع

وأحمو لما قد كان في اللوح ثابتاً
فتثبت إذ وقعت ثم وقائع

وإني على هذا عن الكل فارغ
وليس به لي همة وتنازع

ووصفي حقاً فوق ماقد وصفته
وحاشاي من حصر ولا لي قاطع

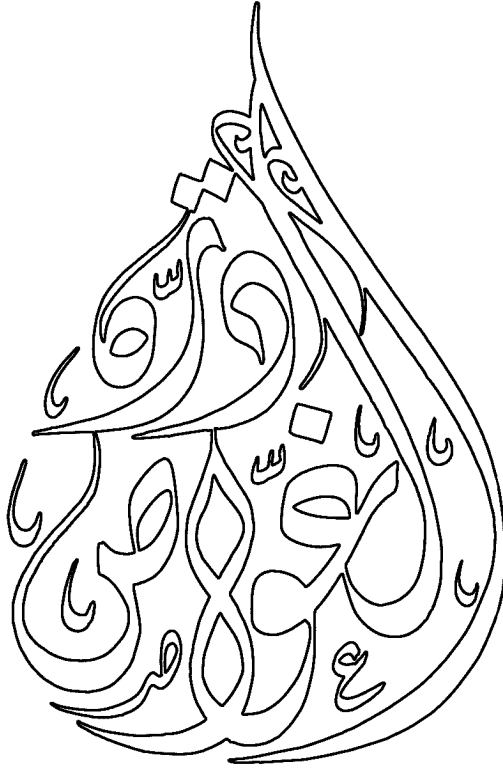
وإني على مقدار فهمك واضع
وإلا فلي من بعد ذاك بدائع

وثم أمور ليس بمكن كشفها
بها قلدتني عقدهن شرائع

قفوت بها آثار أحمد تابعاً
فأعجب بمتبوع وهامو تابع

بني له فوق المكانة رتبة
ومن عينه للناهلين منابع

عليه سلام الله مني وإنما
سلامي على نفسي النفيسة واقع



ومن النظم المنسوب إليه

رضي الله عنه ونفعنا به

على الأوليا ألقيت سري وبرهاني
فهاموا به في سر سري وإعلاني

فأسكرهم كأسي فهاموا بخمرتي
سكاري حيارى من وجودي وعرفاني

أنا كنت قبل القبل قطباً مبجلاً
تطوف بي الأكوان والرب أسماني

خرقت جميع الحجب حتى وصلته
مقاماً به قد كان جدي له داني

وقد كشف الأستار عن نور وجهه
ومن خمرة التوحيد بالكأس أسقاني

نظرت إلى المحفوظ والعرش نظرة
فلاحت لي الأنوار والرب أعطاني

أنا قطب أقطاب الوجود بأسرها
أنا بازهم والكل يدعى بغلماني

ولو أنني ألقيت سري لدجلة
لغارت وراح الماء في سر إعلاني

ولو أنني ألقيت سري إلى لظى
لأخدت النيران من عظم سلطاني

ولو أنني ألقيت سري لميت
لقام بإذن الله في الحال ناداني

سلو عني السرى سلوا عني المنى
سلو عني القاصي سلو عني الداني

سلو عني العلا سلو عني الثرى
وماكان تحت التحت والإنس والجنان

فيا معشر الأقطاب هلموا لحضرتي
وطوفوا بحاناتي واسعوا لأركانتي

وغوصوا بحاري تظفروا بجواهري
وتبري وياقوتي ودري ومرجاني

وقفت على الإنجيل جمعاً شرحته
أخي ورفيقي كان موسى بن عمران

وحليت رمزاً كان عيسى يحله
به كان يحبي الموتى والرمز سرياني

وخضت بحار العلم من قبل نشأتني
وفككت في التوراة زمرة عبراني

فمن في رجال الله نال مكانتي
وجدي رسول الله في الأصل رباني

ووالدتي الزهراء بنت محمد
أبوها رسول الخلق عزهم شأني

أنا الكوكب الدرّي أنا شمس خلّتها
أنا الفرد قد ألّبت في الحب تيجاني

أنا قادري الوقت عبد القادر
واسمي محي الدين والأصل كيلاني

انتهت

وقد زاد في صدرها الشيخ الإمام المنزلي بيتاً للترجيع فقال :

صلاقي على المختار من خير عدنان
سلامي على الجيلاني شيخي وبرهاني

ومن النظم المنسوب إليه

رضي الله عنه ونفعنا به

دنوت من المحبوب أعلى المراتب
فأوهبني بالقرب أذكى المواهب

وتوجني تاجاً على خلع الرضى
بأثني ملايس فلت مآربي

وقللت تصريف الوجود بأسره
خليفة بالكرسي أجلست نائبني

ونادمني من غير واسطة وقد
بدا لي جهراً لاحجاب وحاجب

أنا خادم في حضرة نبوية
قريب له قريباً كقوس حواجب

فوصف جميعي لايحاط بقدره
وهزمي لخاني ينثنى وهو هائبي

وحكمني كل الدنان وخانها
فلا ثمل إلا تلاني عاقب

وماشرب العشاق قدما وبعدنا
من الحان إلا بعض سؤر مشاربي

سلكت طريقاً ليس يسلكه سالك
وكان حبيبي لي دليلاً مصاحبي

خلوت بمن أهوى بغير مزاحم
فيا حبذا ما طببت لي من مآرب

ولي همة تعلو على كل همة
ومطلب عزمي مهلك كل طالب

أنا في الهوى سلطان كل متيم
لملكني في الأرض حنت ركائبي

لواء لوائي في الوجود ضخم
مخفق تملأ الخافقين ذوائبي

نشرت بأعلامي على كل عاشق
مشارك أرض الله ثم المغارب

وأهل الهوى جندي وحكمي عليهم
وفي سائر الآفاق سارت مواكبي

وجالت خيولي الأرض شرقاً ومغرباً
وفي طولها والعرض دارت نجائبي

أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة
وجملتهم لي يتبعون مذاهبي

إذا اجتمعوا في جامع العشق جئتهم
خطيباً أعظمهم من بليغ عجائبي

وكلهم بي يقتدون حقيقة
بعصري وبعدي هكذا كل طالب

قعود جلوس ينظروا تحت منبري
ومجروا دموعاً بالدماء سواكب

وأقدمهم من بعد ذلك راعياً
إماماً لهم بي يقتدي كل راغب

وقد أفلح جميع الشموس وشمسنا
ليوم اللقاء إشراقها في كواكب

وبي وله قبل الوجود وكونه ولي
قدم قد جال في جذب جاذبي

وهذا مقامي واتصالي بخالقي
وذكر لي لحظي من حبيب الحباب

محمد الرسول للخلق رحمة
وجاهد في كفارهم بالقواضب

إمامي رسول الله جدي وقدوتي
وعاهدي من كفه وهو طالبي

أتاني مراراً قبل عهدي وقال لي
أنا جدك أفخر بي فخرت بخاطب

ولي خيمة خضراء في مشرق لها
وفي مغرب أطناها يترائب

وتنصب في حشر علينا تظلنا
رجالي وأصحابي بها في مناصب

وما قلت هذا القول فخراً وإنما
أتى الإذن حتى تعرفون مراتبي

ودقت لي السادات في الأرض والهوى
طبولاً لعزي كم لها ألف ضارب

فبلغ سلامي خير من وطىء الثرى
وأشرف خلق الله ماش وراكب

انتهت

وقد زاد بعض الفضلاء المريدين بيتاً للترجيع والتبرك فقال :

صلاتي على المختار بدر الكواكب
وآله والأصحاب أهل المناقب

ومن نظم الشيخ المنسوب إليه
رضي الله عنه ونفعنا به

رفعت على أعلى الورى أعلامنا
لما بلغنا في الغرام مرامنا

نحن الملوك على السلاطين الملا
والكائنات ومن بها خدامنا

فبذلنا للحب نلنا عزة
وعلى الرؤوس تنقلت أقدامنا

إنا وأن آخر الزمان فإننا
فقنا الذين تقدموا قدامنا

فبقربنا من قاب قوسين لقد
رشقت قلوب المنكرين سهامنا

فجئنا ملأ الوجود وحالنا
لايستطاق ولا يفل حسامنا

ضربت طبول العز في ساحاتنا
وعلى السما شرفا بدت خيامنا

ولأجلنا وجد الزمان وكونه
والدهر عبد والزمان غلامنا

ولنا الولاية من «ألست بربكم»
وإمامنا المهدي فهو ختامنا

ثم الصلاة على النبي محمد
والآل والأصحاب ثم صحابنا



ومن نظمه أيضاً
رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين

سألتك يا جبار يا سامع النداء
ويا حاكم أحكم في الذي قد تجبرا

فأنت الذي ترجى لدفع مضرتي
وأنت مغيث من دعاك من الورى

سألتك بالإسم العظيم فمن بغى
علي امتحنه بالعماء فلا يرى

أجب دعوة المظلوم يشكو مصيبة
كسير الجناح لانصير له يرى

فإن لم يقع غيث فما وجه حيلتي
وأين الفرار من عدو تجورا

فيا عالم النجوى ويا سامع النداء
ويا مستغاث أهلكن من تجبرا

فكل مصاب يستغاث بمثله
وإني لا أشكو لغيرك ماجرى

فكيف يخيب من بقلبه قد دعا
وأمرك في القرآن يتلى على الورى

فأنت المغيـث والنصير على العدا
وقولك حق لا خلال ولا أمـترا

بطه مع الفرقان والبقر قبلها
وسبح مع الأنفال مع سورة برا

ويس مع حم كل مع النساء
وبالأنبياء المرسلين ومن قرا

انتهى ما وجد من هاته القصيدة وكنت أعرف أنها أطول من هذا
القدر الذي أثبتته هنا .

ومن نظمه أيضاً
رضي الله عنه ونفعنا بعلومه

أطلب أن تكون كثير مال
ويسمع منك دوماً في كل قال

ومن كل النساء ترى وداداً
تسر به ومن كل الرجال

ويأتيك الغنى وترى سعيداً
مهاباً مكرماً من كل وال

وتكفي كل حادثة وضر
وتبقى آمناً في كل حال

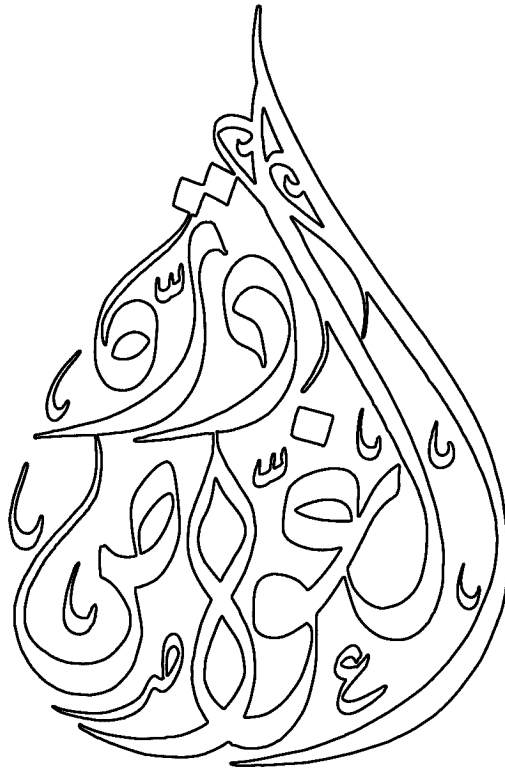
فقل يا حي يا قيوم ألفاً
مكاملة على عدد الليالي

بليل أو نهار فإن فيما
ذكرته يرخص كل غال

وفي ذكراك يا وهاب سر
ينبيك ماتريد من السؤال

وتكبر عند كل الناس طرا
وتقبض باليمين وبالشمال

فلازم مذكرت ولا تدعه
ففيه تبلغ الرتب العوالي



وله أيضاً رضي الله عنه ونفعنا به وبها جاء به آمين

أنا القرآن والسبع المثاني
وروح الروح لاروح الأواني

فؤادي عند محبوبي مقيم
يناجيه وعندكم لساني

فلا تنظر بطرفك نحو جسمي
وعد عن التناغم بالمغاني

وغص في بحر ذات الذات تنظر
معاني ماتبت للعيان

وأسراري قراءة مبهمات
مسترة بأرواح المعاني

فمن فهم الإشارة فليصنها
وإلا سوف يقتل بالسنان

كحلاج المحبة إذ تبت
له شمس الحقيقة بالتداني

وقال أنا هو الحق الذي لا
يغير ذاته مر الزمان

وله أيضاً رضي الله عنه ونفعنا به آمين

ولما صفا قلبي وطابت سريرتي
ومني دنا صحوي بفتح البصيرة

شهدت بأن الله مولى الولاية
وقد منّ بالتصريف في كل حالة

سقاني ربي من كؤوس شرابه
فأسكرني حقاً فهمت بسكرتي

وملكني كل الجنان وماحوى
وكل ملوك العالمين رعيتي

وفي حائنا فادخل ترى الكأس دائراً
وما شرب العشاق إلا بقيتي

رفعت على من يدعى الحب في الهوى
فقربني المولى وفزت بنظرتي

وجالت خيولي في الأراضي جميعها
وزفت لي الكاسات من كل وجهة

ودقت لي الرايات في الأرض والسما
وأهل السما والأرض تعلم سطوتي

وشاوش ملكي سار شرقاً ومغرباً
وصرت لأهل الكرب غوثاً ورحمة

فمن كان مثلي يدعي فيكم الهوى
يطاولني إن كان يقوى لسطوتي

أنا كنت في العليا بنور محمد
وقاب قوسين اجتماع الأحبة

شربت بكاسات الغرام سلافة
بها انتعشت روحي وجسمي ومهجتي

وصرت أنا الساقى لمن كان حاضراً
أدير عليهم كرة بعد كرة

وقمت بباب الله وحدي موحداً
ونوديت ياجيلاني ادخل لحضرتي

ونوديت ياجيلاني ادخل ولا تخف
عطيت اللوا من قبل أهل الحقيقة

ذراعي من فوق السموات كلها
ومن تحت بطن الحوت مديت راحتي

وأعلم نبت الأرض كم من نباتة
وأعلم رمل الأرض كم هو رملة

وأعلم علم الله أحصى حروفه
وأعلم موج البحر كم هو موجة

وماقلت هذا القول فخراً وإنما
أتى الإذن حتى تعرفون حقيقتي

وماقلت حتى قيل لي قل ولا تخف
فأنت ولي في مقام الولاية

أنا كنت مع نوح بأعلى سفينة
بحاراً وطوفاناً على كف قدرتي

وكنت وإبراهيم ملقى بناره
مابرد النيران إلا بدعوتي

وكنت مع إسماعيل في الذبح شاهداً
وليس نزول الكبش إلا بفتيتي

وكنت مع يعقوب في غشو عينه
وما برئت عيناه إلا بتفليتي

وكنت وموسى في مناجاة ربه
وموسى عصاه من عصاي استمدت

وكنت مع عيسى ولي المهد ناطقاً
وأعطيت داوداً حلاوة نغمتي

أنا كنت مع أيوب في زمن البلاء
ومابرت بلواه إلا بدعوتي

ولي نشأة في الحب من قبل آدم
وسري سري في الكون من قبل نشأتي

أنا الذاكر المذكور ذكر الذاكر
أنا الشاكر المشكور شكراً بنعمة

أنا العاشق المعشوق في كل مضمّر
أنا السامع المسموع في كل نغمة

أنا الواحد الفرد الكبير بذاته
أنا الواصف الموصوف علم الطريقة

ملكّت بلاد الله شرقاً ومغرباً
وإن شئت أفنيت الأنام بلحظتي

وقالوا فأنّت القطب قلت مشاهداً
ونال كتاب الله في كل ساعة

وناظر مافي اللوح من كل آية
وماقد رأيت من شهود بمقلتي

فمن كان يهوانا يجي لمحلنا
ويدخل همى السادات يلقي الغنيمة

فلا عالم إلا بعلمي عامل
ولاسالك إلا بفرضي وسنتي

وقالوا أيا هذا تركت صلاتك
ولم تعلموا أني أصلي بمكة

ولامسجد إلا ولي فيه ركعة
ولامنبر إلا ولي فيه خطبة

ولولا رسول الله بالعهد سابق
لأغلقت أبواب الجحيم بعظمتي

مريدي لك البشرى تكون على الوفا
إذا كنت في ضيق فتنجو بهمتي

مريدي تمسك بي وكن بي واثقاً
فأحميك في الدنيا ويوم القيامة

أنا لمريدي حافظ ما يخافه
وأحرسه من كل شر بلية

وكن يامريدي حافظاً لعهودنا
أكن حاضر الميزان يوم القيامة

وإن شحت الميزان والله أناها
فعنى عنايات بلطف الحقيقة

حوائجكم مقضية غير أنني
أريدكم تمشوا الطريق الحميدة

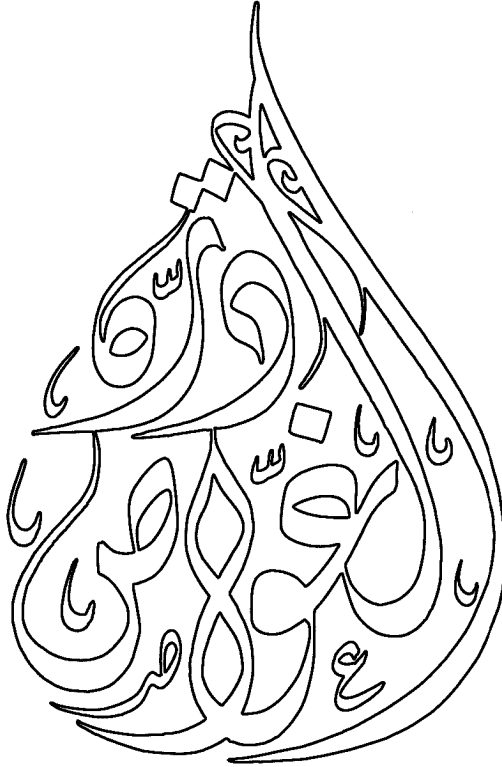
وأوصيكم كسر النفوس فإنها
مراتب عز عند أهل الطريقة

ومن حدثته نفسه بتكبر
تجده صغيراً في عيون الأقلّة

ومن كان في حالاته متواضعاً
مع الله عزته جميع البرية

فجدي رسول الله طه محمد
أنا عبد قادر وشيخ الطريقة

وأعلم بأن البيت الأول منها لم يعرف في أول القصيدة عند أهل
الطريقة رضوان الله عليهم أجمعين ونفعها ببركاتهم آمين .



ومن نظمه رضي الله عنه وهدانا بهداه

نظرت بعين الفكر في حان حضرتي
حبيباً تجلى للقلوب فجنتي

سقاني بكأس من مدامة حبه
فكان من الساقى خماري وسكرتي

ينادمي في كل يوم وليلة
ولا زال يرعاني بعين العناية

ضريحي بيت الله من جاء زاره
بهرولة يحظى بعز ورفعة

وأمرني بأمر الله إن قلت كن يكن
وكل بأمر الله حكمي وقدرتي

فأصبحت بالوادي المقدس جالساً
على طورسينا قد سموت بخلوتي

وطافت بي الأكوان من كل جانب
فصرت لها أهلاً بتحقيق نسبتي

ولي علم في ذروة المجد قائم
رفيع البنا تأوي له كل أمة

فلا علم إلا من بحار وردتها
ولا نقل من صحيح روايتي

على الدرة البيضاء كان اجتماعنا
وفي قاب قوسين اجتماع الأحبة

وعاينت إسرافيل والروح والرضا
وشاهدت أنوار الجلال بنظرتي

وساهدت مافوق السموات كلها
كذا العرش والكرسي في طي قبضتي

وكل بلاد الله ملكي حقيقة
وأقطابها من تحت حكمي وطاعتي

وجودي سرى في سر سر الحقيقة
ومرتبتي فاقت على كل رتبة

وذكرني جلا الأبصار بعد غشائها
وأحيا فؤاد الصب بعد القطيعة

حفظت جميع العلم صرت طرازه
على خلعة التشريف في حسن خلوتي

قطعت جميع الحجب للحب صاعداً
ولا زلت أرقى سائراً بمحبتتي

تجلى لي الساقى وقال إلي قم
فهذا شراب الحب في حان حضرتي

تقدم ولا تخش كشفنا حجابنا
تجلى بحاني والشراب ورؤيتي

شطحت بها شرقاً وغرباً وقبله
وبراً وبحراً من نفائس خمرتي

فلاحت لي الأسرار من كل جانب
وبانت لي الأنوار من كل وجهة

وشاهدت معنى لوبدا كشف سره
لصم الجبال الراسيات لدكت

ومطلع شمس الأفق ثم مغيبها
وأقطع أرض الله في حال خطوتي

أقلبها في راحتي ككورة
أطوف بها جمعاً كأسرع لمحة

أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة
على سائر الأقطاب قولي وحرمتي

توسل بنا في كل هول وشدة
أغيثك في الأشياء طرا بهمتي

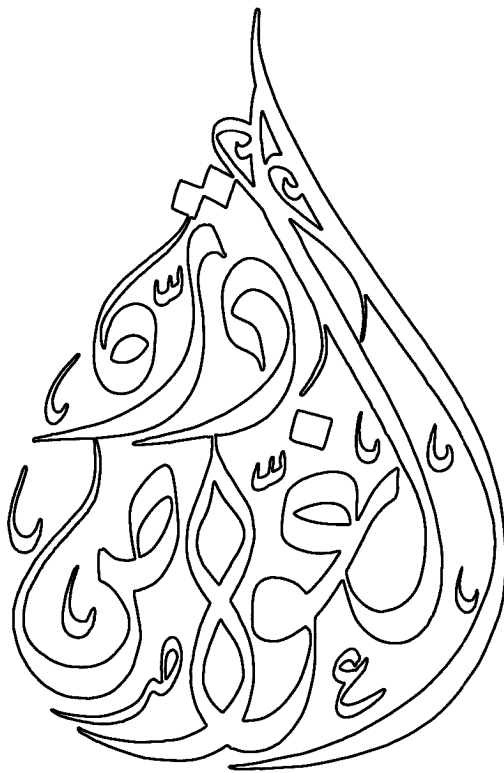
أنا لمريدي حافظ ما يخافه
وأحرسه من كل شر وفتنة

مريدي إذا ما كان شرقاً ومغرباً
أغثه إذا ما سار في أي بلدة

فيا منشداً للنظم قلبه ولا تخف
فإنك محروس بعين العناية

وكن قادري الوقت لله مخلصاً
تعش سعيداً صادقاً بمحبتني

ونثنى صلاة الله ثم سلامه
على خير خلق الله جدي ونسبتي



هذه القصيدة المباركة

المنسوبة إلى القطب الرباني والغوث الصمداني سيدنا السيد عبد
القادر الجيلاني قدس سره ، مشهور اسمها عند العوام بالقصيدة الغوثية
وعند الخواص بالخميرية أنشدها حضرة الشيخ في حالة الجذبة
والاستغراق . وخواصها كثيرة .

منها أن من داوم على قراءتها كل يوم إحدى عشرة مرة يصير مقبولا
عند الله تعالى ومحبوا عند الخلق .

ومنها أن من جعلها من أوراده تزيد فيه قوة الحفظ فلا ينسى
وماقرأ أو سمع .

ومنها من قرأها يزيد فهمه بالعربية وإن لم يكن من أهلها .
ومنها أن من قرأها أربعين يوماً لأي حاجة كانت فلا يتم
الأربعون إلا وقد قضيت حاجته بإذن الله تعالى .

ومنها من حملها معه وقرأها كل يوم ثلاث مرات أو سمعها من
غيره ونظر إليها كل صباح من حسن الاعتقاد يرى إن شاء الله تعالى في
منامه صاحبها أغنى غوث الثقلين ويتبرك بزيارته وكلامه ، ويكون معظماً
عند الأمراء والملوك .

ومنها أن بركاتها عامة فبأي نية يقرأها التالي يحصل مراده مع
الاعتقاد الصحيح ، وكلما أراد أن يقرأها يهدي أولاً فاتحة الكتاب
لصاحبها قطب الغوث ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث
مرات بهذه الصيغة الجليلة ، وهي : اللهم صلي على النبي سيدنا محمد
وعلى آل سيدنا محمد معدن الجود والكرم ، ومنبع العلم والحلم والحكم ،
وبارك وسلم .

والقصيدة المذكورة هي هذه :

سقاني الحب كاسات الوصال
فقلت لخمركي نحوي تعالي

سعت ومشيت لنحوي في كؤوس
فهمت بسكرتي بين الموالي

وقلت لسائر الأقطاب لموا
بحاني وادخلوا أنتم رجالي

وهيموا واشربوا أنتم جنودي
فساقي القوم بالوافي ملا لي

شربتم فضلتي من بعد سكري
ولا نلتم علوي واتصالي

مقامكم العلا جمعاً ولكن
مقامي فوقكم مازال عالي

أنا في حضرة التقريب وحدي
يصرفني وحسبي ذو الجلال

أنا البازي أشهب كل شيخ
ومن ذا في الرجال أعطى مثالي

درست العلم حتى صرت قطباً
ونلت السعد من مولى الموالي

كساني خلعة بطراز عز
وتوجني بتيجان الكمال

وأطلعني على سر قديم
وقلدي وأعطاني سؤالي

طبول في السما والأرض دقت
وشاويش السعادة قد بدا لي

أنا الحسنى والمخدع مقامي
وأقدامي على عنق الرجال

وولاني على الأقطاب جمعا
فحكمتي نافذ في كل حال

نظرت إلى بلاد الله جمعا
كخردلة على حكم اتصال

فلو ألقيت سري فوق نار
لخمدت وانطفت من سر حالي

ولو ألقيت سري فوق ميت
لقام بقدرة المولى مشالي

ولو ألقيت سري في جبال
لذكت واختفت بين الرمال

ولو ألقيت سري في بحار
لصار الكل غوراً في الزوال

ومامنها شهور أو دهور
تمر وتنقضي إلا أتى لي

وتخبرني بما يأتي ويجري
وتعلمني فأقصر عن جدالي

بلاد الله ملكي تحت حكمي
ووقتي قبل قلبي قد صفا لي

مريدي لا تخف واش فإني
عزوم قاتل عند القتال

مريدي لا تخف الله ربي
عطاني رفعة نلت المعالي

مريدي هم وطب واشطح وغني
وافعل ماتشا فالإسم عالي

وكل ولي له قدم وإني
على قدم النبي بدر الكمال

أنا الجيلي محيي الدين إسمي
وأعلامي على رأس الجبال

وعبد القادر المشهور إسمي
وجدي صاحب العين الكمال

ومن النظم المنسوب إليه
رضي الله عنه ونفعنا به هاته القصيدة

روي أنها مجربة لقضاء الحوائج وتفريج الكرب :

يامن تحل بذكره
عقد النوائب والشدائد

يامن إليه المشتكى
وإليه أمر الخلق عائد

ياحي ياقيوم يا
صمد تنزه عن مضاد

أنت العليم بما بلي
يت به وأنت عليه شاهد

أنت المنزه يابدي
مع الخلق عن ولد ووالد

أنت الرقيب على العباد
د وأنت في الملكوت واحد

أنت المعز لمن أطا
عك والمذل لكل جاحد

إني دعوتك والهمو
م جيوشها قلبي تطارد

فرج بحولك كربتي
يامن له حسن العوائد

أنت الميسر والمسبب
ب والمسهل والمساعد

يسر لنا فرجاً قريباً
يا إلهي لا تباعد

فخفي لطفك يستعا
ن به على الزمن المعاند

كن راحي فلقد أيسر
ت من الأقارب والأباعد

وعلى العدا كن ناصري
لاتشمتن بي الحواسد

ثم الصلاة على النبي
وآله العز الأماجد

ماجن ليل أو سجي
أوخر للرحمن ساجد

ومن نظمته أيضاً رضي الله عنه ونفعنا به آمين

طف بحاني سبعا ولد بدمامي
وتجرد لزورتي كل عام

أنا سر الأسرار من سر سري
كعبتي راحتي وبسطي مدامي

أنا نشر العلوم والدرس شغلي
أنا شيخ الوري وكل إمام

أنا في مجلس نرى العرش حقاً
وجميع الأملاك في قيام

قالت الأوليا جميعاً بعزم
أنت قطب على جميع الأنام

قلت كفوا ثم اسمعوا نص قولي
إنما القطب خادمي وغلامي

كل قطب يطوف بالبيت سبعا
وأنا البيت طائف بخيامي

كشف الحجب والستور لعيني
ودعاني لحضرة ومقامي

فاخترقت الستور جمعا لحبي
عند عرش الإله كان مقامي

وكساني بتاج تشریف عز
وطراز وخلعة باختتام

فرس العز تحت سرج جوادي
وركابي عال وغمدي محامي

وإذا ماجذبت قوس مرامي
كان نار الجحيم منها سهامي

سائر الأرض كلها تحت حكمي
وهي في قبضتي كفرخ الحمام

مطلع الشمس ثم أقصى الغروب
خطوتي وأقلها باهتمام

أمر يدي لك الهنا بدوام عي
ش عزّ ورفعته واحترام

ومريدي إذا دعاني بشرق
أو بغرب أو نازل بحر طام

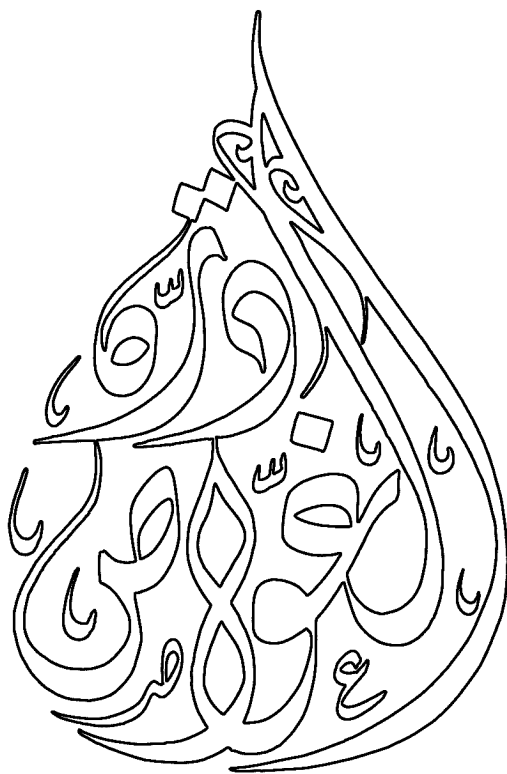
فأغثه لو كان فوق هواء
أنا سيف القضا لكل خصام

أنا في الحشر شافع لمريدي
عند ربي فلا يرد كلامي

أنا شيخ وصالح وولي
أنا قطب وقدوة للأنام

أنا عبد القادر طاب وقتي
جدي المصطفى شفيع الأنام

فعليه الصلاة في كل وقت
وعلى آله بطول الدوام



ومن نظمه أيضاً رضي الله عنه

ما في الصبابة منهل مستعذب
إلا ولي فيه الألد الأطيب

أوفى الوصال مكانة مخصوصة
إلا ومنزلي أعز وأقرب

ودبت لي الأيام رونق صفوها
فحلت مناهلها وطاب المشرب

وغدت مخطوباً لكل كريمة
لا يهتدي فيها اللبيب فيخطب

أنا من رجال لا يخاف جلسهم
ريب الزمان ولا يرى ما يرهب

قوم لهم في كل مجد رتبة
علوية وبكل جيش موكب

أنا بلبل الأفراح أملا دوحها
طربا وفي العلواء باز أشهب

أضحت جيوش الحب تحت مشيئتي
طوعا ومهما لامته لا يعزب

أصبحت لا أملاً ولا أمنية
أرجو ولا موعودة أتوقب

مازلت أرتع في ميادين الرضا
حتى وهبت مكانة لاتوهب

أضحى الزمان كحلة مرقومة
تزهو ونحن لها الطراز المذهب

أفلت شمس الأولين وشمسنا
أبدا على فلك العلى لاتغرب

ومن كلام بعض محبيه فيه رضي الله عنه

بك الشهور تهنى والمواقيت
يامن بألفاظه تعلو اليواقيت

الباز أنت فإن تفخر فلا عجب
وسائر الناس في عيني فواخيت

أشم من قدميك الصدق مجتهداً
لأنه قدم في نعله الصيت

ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

إذا ضاق حالي اشتكيت لخالقي
قدير على تيسير كل عسير

فما بين إطباق الجفون وحلها
إنجبار كسير وإنفكاك أسير

أظلمني دهري وأنت وسيلتي
وأشكو من الأسوا وأنت مجيري

وأظلم وأنت العذب في كل مورد
وأظلم في الدنيا وأنت نصيري

وعار على حامي الحمى وهو قادر
إذا ضاع في البیدا عقل بعير

ولاحامي المملوك إلا أميره
فها أنا مملوك وأنت أميري

ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

سقاني حبيبي من شراب ذوي المجد
فأسكرني حقاً فغبت على وجدي

وأجلسني في قاب قوسين سيدي
على منبر التخصيص في حضرة المجد

حضرت مع الأقطاب في حضرة اللقا
فغبت به عنهم وشاهدته وحدي

فما شرب العشاق إلا بقيتي
وفضلة كاسات بها شربوا بعدي

ولو شربوا ما قد شربت وعانوا
من الحضرة العليا شراب ذوي الود

لأمسوا سكارى قبل أن يقربوا لها
وأمسوا حيارى من مصادمة الورد

أنا البدر في الدنيا وغيري كواكب
وكل فتى يهوى فذاككم عبدي

وبحري محيط بالبحار بأسرها
وعلمي حوى ما كان قبلي وما بعدي

وسري له الأسرار تزخر في الدجا
كزجر سحاب الأفق من ملك الرعد

فإن شئت أن تخطي بعزّ وقربة
فداوم على حبي وحافظ على عهدي



ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

رفع الحجاب عن بدور الكمال
مرحباً مرحباً بأهل الجلال

ملكوني بحبهم ورضوا بي
عبد رق فسدت بين الموالي

فرجوني بصرف راح هواهم
فتريت في حجور الدلال

عاملوني بلطفهم في غرامي
فحلا في بصائر الناس حالي

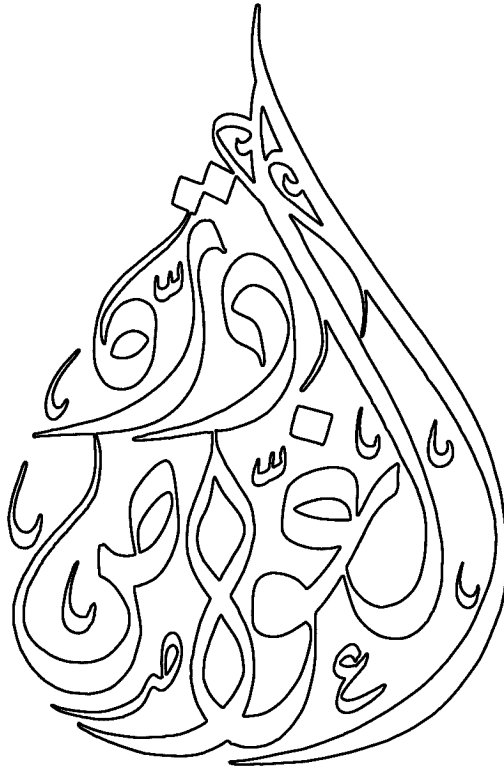
إن أرادو الصدود يفنى وجودي
رحموني وأنعموا بالوصال

وإن ضللت عنهم هدوني
هكذا هكذا تكون الموالي

سادتي سادتي بحقي عليكم
إنني عندكم عزيز وغالي

مابقا لي حبيب قلب سواكم
مات وهمي بكم وبان خيالي

بحياتي عليكم ياسقاتي
روقوا الكأس إن حبي ملا لي
وأديروا الكؤوس بين الندامي
فجميع الأنام سكرى بحالي



ومن النظم المنسوب إليه
رضي الله عنه ونفعنا به

أيا نفحة الألفاف من لطف ربنا
ويا سرعة اليسر المشتت للعسر

وبارحة المولى السماوية التي
تهب هبوب الريح من حيث لا أدري

إغاثة ملهوف أردت بحاله
نوائب لا نخفاك يا عالم السر

ولما دهاني الحال واشتد خطبه
شكوت إلى رحماك يارب من ضر

فمن ذا الذي أرجو سواك لفاقتي
وضعفي تداركني بلطفك في الأمر

فعجل وسارع ياسريع بحل ما
تضايق بي يا واسع الفضل والبر

فأنت القريب المستجيب لمن دعا
غنى كريم دائم العفو واليسر

ثبت الموضوعات

الصفحة

الموضوع

مقدمة المحقق

٧	تعريف بنسب المؤلف
٨	مقدمة المؤلف
٩	المقالة الأولى فيها لا بد لكل مؤمن
١٠	المقالة الثانية في التواصي بالخير
١٠	المقالة الثالثة في الابتلاء
١٢	المقالة الرابعة في الموت المعنوي
١٣	المقالة الخامسة في بيان الدنيا والحث على عدم الالتفات إليها
١٣	المقالة السادسة في الفناء عن الخلق
١٦	المقالة السابعة في إذهاب غم القلب
١٨	المقالة الثامنة في التقرب إلى الله
٢٠	المقالة التاسعة في الكشف والمشاهدة
٢١	المقالة العاشرة في النفس وأحوالها
٢٤	المقالة الحادية عشرة في الشهوة
٢٥	المقالة الثانية عشرة في النهي عن حب المال
٢٦	المقالة الثالثة عشرة في التسليم لأمر الله
٢٩	المقالة الرابعة عشرة في اتباع أحوال القوم
٣٠	المقالة الخامسة عشرة في الخوف والرجاء
٣٠	المقالة السادسة عشرة في التوكل ومقاماته
٣٢	المقالة السابعة عشرة في كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد
٣٤	المقالة الثامنة عشرة في النهي عن الشكوى
٣٧	المقالة التاسعة عشرة في الأمر بوفاء الوعد والنهي عن خلقه
٣٨	المقالة العشرون في قوله (ﷺ): «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»
٣٩	المقالة الحادية والعشرون في مكالمة إبليس عليه اللعنة
٤٠	المقالة الثانية والعشرون في ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه
٤١	المقالة الثالثة والعشرون في الرضا بما قسم الله تعالى
٤٢	المقالة الرابعة والعشرون في الحث على ملازمة باب الله تعالى

٤٤	المقالة الخامسة والعشرون في شجرة الايمان
٤٥	المقالة السادسة والعشرون في النهي عن كشف البرقع عن الوجه
٤٨	المقالة السابعة والعشرون في ان الخير والشر ثمرتان
٥١	المقالة الثامنة والعشرون في تفصيل أحوال المريد
٥٣	المقالة التاسعة والعشرون في قوله (ﷺ): «كاد الفقر أن يكون كفراً»
٥٤	المقالة الثلاثون في النهي عن قول الرجل أي شيء أعمل وما الحيلة
٥٥	المقالة الحادية والثلاثون في البغض في الله
٥٦	المقالة الثانية والثلاثون في عدم المشاركة في محبة الله
٥٧	المقالة الثالثة والثلاثون في تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام
٥٩	المقالة الرابعة والثلاثون في النهي عن السخط على الله
٦٢	المقالة الخامسة والثلاثون في الورع
٦٣	المقالة السادسة والثلاثون في بيان الدنيا والآخرة وما ينبغي أن يعمل فيهما
٦٧	المقالة السابعة والثلاثون في ذم الحسد والأمر بتركه
٦٩	المقالة الثامنة والثلاثون في الصدق والنصيحة
٦٩	المقالة التاسعة والثلاثون في تفسير الشقاق والوفاق
٦٩	المقالة الأربعون متى يصح السالك أن يكون في زمرة الروحانيين
٧٠	المقالة الحادية والأربعون مثل في الغنى وكيفيته
٧٢	المقالة الثانية والأربعون في بيان حالتي النفس
٧٤	المقالة الثالثة والأربعون في ذم السؤال من غير الله تعالى
٧٤	المقالة الرابعة والأربعون في سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى
٧٥	المقالة الخامسة والأربعون في النعمة والابتلاء
	المقالة السادسة والأربعون في قوله (ﷺ): عن الحديث القدسي
٧٨	«من شغله ذكرى» إلى آخره
٧٩	المقالة السابعة والأربعون في التقرب إلى الله تعالى
٨٠	المقالة الثامنة والأربعون فيما ينبغي للمؤمن أن يشتغل به
٨١	المقالة التاسعة والأربعون في ذم النوم
	المقالة الخمسون في علامة دفع العبد عن الله تعالى وبيان
٨١	كيفية التقرب منه تعالى
٨٢	المقالة الحادية والخمسون في الزهد
٨٤	المقالة الثانية والخمسون في سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين
٨٤	المقالة الثالثة والخمسون في الأمر بطلب الرضى عن الله والفناء به تعالى
٨٦	المقالة الرابعة والخمسون فيمن أراد الوصول إلى الله تعالى

٨٧	المقالة الخامسة والخمسون في ترك الحظوظ
٨٩	المقالة السادسة والخمسون في فناء العبد عن الخلق والهوى والنفس والارادة
٩٠	المقالة السابعة والخمسون في عدم المنازعة في القدر والأمر بحفظ الرضا به
٩١	المقالة الثامنة والخمسون في صرف النظر عن كل الجهات وطلب جهة فضل الله تعالى
٩٢	المقالة التاسعة والخمسون في الرضا على البلية والشكر على النعمة
٩٥	المقالة الستون في البداية والنهاية
٩٧	المقالة الحادية والستون في التوقف عند كل شيء حتى يتبين له اباحة فعله
٩٨	المقالة الثانية والستون في المحبة والمحجوب وما يجب في حقها
٩٩	المقالة الثالثة والستون في نوع من المعرفة
١٠٠	المقالة الرابعة والستون في الموت الذي لاحياة فيه والحياة التي لاموت فيها
١٠٠	المقالة الخامسة والستون في النهي عن التسخط على الله في تأخير اجابة الدعاء
١٠٢	المقالة السادسة والستون في الأمر بالدعاء والنهي عن تركه
١٠٣	المقالة السابعة والستون في جهاد النفس وتفصيل كيفيته
١٠٥	المقالة الثامنة والستون في قوله تعالى : « كل يوم هو في شأن »
١٠٦	المقالة التاسعة والستون في الامر بطلب المغفرة والعصمة والتوفيق والرضا والصبر من الله تعالى
١٠٨	المقالة السبعون في الشكر والاعتراف بالتقصير
١٠٩	المقالة الحادية والسبعون في المريد والمراد
١١٠	المقالة الثانية والسبعون فيمن إذا دخل الأسواق ومال إلى ما فيها ومن إذا دخلها وصبر
١١٢	المقالة الثالثة والسبعون في قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم
١١٣	المقالة الرابعة والسبعون في ما ينبغي للعاقل أن يستدل به على وحدانية الله تعالى
١١٤	المقالة الخامسة والسبعون في التصوف وعلى أي شيء مبناه
١١٥	المقالة السادسة والسبعون في الوصية
١١٦	المقالة السابعة والسبعون في الوقوف مع الله والفناء عن الخلق

المقالة الثامنة والسبعون في أهل المجاهدة والمحاسبة وأولي

- العزم وبيان خصالهم ١١٧
تكملة في ذكر وصايا الأولاده قدست أسرارهم وبعض مقالات نافعة
أورادها، مرضه ووفاته ١٢٠
بيان تاريخ وفاته وولادته وكم له من العمر ١٢٢
في تكملة نسب حضرة الغوث قدس سره من والدته ١٢٣
عقيدة الباز الأشهب ١٢٦
القصيدة العينية المنسوبة للقطب الغوث الرباني ١٣٠
القصيدة الياثية المنسوبة للباذ الأشهب ١٧١
القصيدة البائية المنسوبة إليه قدس سره ١٧٤
قصائد من نظمه رضي الله عنه ١٧٨
القصيدة الغوثية (الخميرية) ١٩٥
قصيدة لقضاء الحوائج وتفريج الكرب ١٩٩
بعض قصائد من نظمه أيضاً رضي الله عنه ٢٠١
ثبت مقالات الكتاب ٢١٤



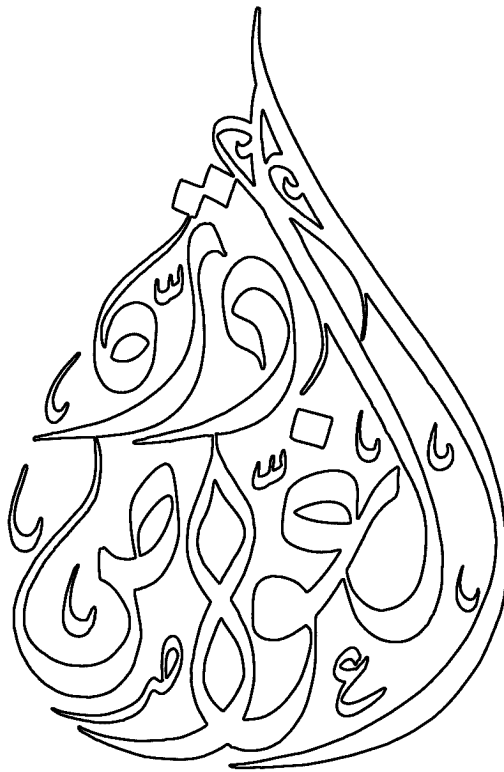
تم طبع كتاب فتوح الغيب بالاعتماد على نسختين :
النسخة الأولى : نسخة قديمة مطبوعة في المطبعة الميمنية سنة
١٣١٧ هجرية شهر جمادى الأولى .

والنسخة الثانية : نسخة البابي الحلبي والمطبوعة عام

/١٣٩٢ هـ/

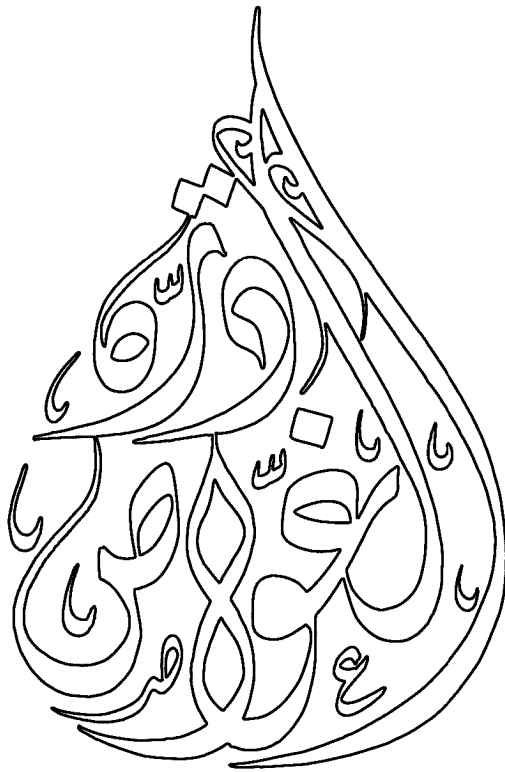
وبالتالي بينت ان كان هناك زيادة او اختلاف بين النسختين ،
فأثبت ما هو مناسب للنص من نسخة الطبعة الميمنية ، كما وأشارت إلى
نسخة البابي الحلبي في الحاشية ورمزت إليها بالنسخة الثانية .
«سائلا المولى عز وجل القبول»

* * *



من منشورات دار الألباب

- ١ - قرآن كريم وبهامشه التفسير الوجيز
- ٢ - مصحف بيز لوني
- ٣ - ربة مجزأة كبيرة لوني
- ٤ - ربة مجزأة صغيرة لوني
- ٥ - ربة مجزأة صغيرة لون واحد
- ٦ - مصحف سحاب لوني تجليد نافر
- ٧ - الغنية للشيخ الجيلاني ج ١ - ٢
- ٨ - الفتح الرباني للشيخ الجيلاني
- ٩ - حياة الحيوان للدميري ج ١ - ٢
- ١٠ - شعراء الفتح الاسلامي «حلقات»
- ١١ - الدعاء المستجاب
- ١٢ - ديوان الامام الشافعي
- ١٣ - معضلات ومشكلات تواجه المرأة المسلمة المعاصرة
- ١٤ - فتوح الغيب للشيخ الجيلاني





الكتاب ٢٦



الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من دار الألباب بدمشق أو بيروت.

لبنان - بيروت - كورنيش المزرعة - ص.ب (١٤/٥٧٦٥)

سورية - دمشق - حليوي ص.ب (٣٠٠١٩) - بريقاً (الألباب).

س.ت (٥٧١١٠) - هاتف (٢٣٩٨٢٠)